

آيات الزيادة في القرآن الكريم دراسة موضوعية

د. رعد طالب كريم

كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين .

أما بعد ..

فمن رحمة الله تعالى ان نتدارس القرآن الكريم ، ومن رحمته ان نجعله لنا اماما ونورا ، فهو الذي لا تنقضي عجائبه على مدى الدهور والازمان ، ولاتنتهي اسراره وروائعه ، وهو الذي أمرنا الله بالإعتصام به ، والانتهاج منه .

إن الانسان يبحث بـ بيعته عن الزيادة ، وهو دائم التلهف لها ، فهو لا يقنع بالقليل ، ولا يرضى بالكفاف . وقد جعل الله لكل عبد نصيبا من الخير والنعمة في الدنيا والآخرة ، ونصيبا من العقوبة والحرمان والشقاوة لمن جحد وأنكر فضل الله ونعمه عليه . فزاد الاول من جنس ما أكرمه به ، وزاد الثاني كذلك مما أصابه زيادة في النكال .

كما أن هناك زيادات أخرى تراعى على الكثير من الاشياء وهي تقدر بقدرها ، وقد تناول القرآن ذلك بين الاجمال والتفصيل ، ولاشك أن لذكره لها حكم وأسرار قد نصل اليها أحيانا ، وتعجز عقولنا عن ادراكها احيانا أخرى ، ونحن في هذه الدراسة نحاول الوقوف على هذه الزيادات التي ذكرها القرآن الكريم ، والكشف عن بعض حكمها وعللها ، وبشيء من الايجاز ، تاركين التوسع في ذلك لدراسات أخرى إن شاء سبحانه .

وقد تمت هذه الدراسة تمهيدا لتناول مفهوم الزيادة ، وخمسة فصول في طياتها بعض المباحث والمفاهيم التي هي كالتالي:

الفصل الاول : زيادة الفل والنعمة واسبابهما .

الفصل الثاني : زيادة الايمان والهدى والخشوع .

الفصل الثالث : زيادة الكفر والخسران والمهانة في الدنيا .

الفصل الرابع : زيادة النعيم والعذاب في الآخرة .

الفصل الخامس : الزيادة في مسائل متفرقة .

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم النتائج ، متوسما الخير والبركة منه سبحانه لمن صوّب بصره الى كتابه العزيز ، الذي ما إن تمسكنا به قاننا الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباحث

تمهيد

مفهوم الزيادة وأهميتها

الزيادة في اللغة : النمو وكذلك الزيادة . والزيادة : خلاف النقصان ، زاد الشيء يزيد زيدا وزيادة وزيدا ومزيدا ومزادا أي ازداد ، وزدته أنا أزيده زيادة : جعلت فيه الزيادة ، واستزدته طلبت منه الزيادة^(١) .

وإذا أعى رجلا شيئا فلب زيادة على ما أعاه قيل قد استزاده يقال للرجل يعى شيئا هل تزداد المعنى هل تلب زيادة على ما أعيتك وتزايد أهل السوق على السلعة إذا بيعت فيمن يزيد زاده الله خيرا زاد فيما عنده والمزيد : الزيادة ، وتقول افعل ذلك زيادة والعمامة تقول زائدة وتزيد السعر غلا^(٢) .

والإنسان بحد ذاته يبحث عن الزيادة من الخير والفأل والمال والنعمة ، وهي أمر وارد لمن أدى الحقوق ، وأقام الواجبات ، فإنه ينال الزيادة البقية في الدنيا ، وله زيادة الثواب والنعيم في الآخرة ، ولا شك أن أعظم زيادة ينالها في ذلك اليوم هو النظر الى وجه الله تعالى ، والتي ينسى معها كل نعيم ناله .

ولكن هناك زيادة أخرى لم يتفكر فيها الإنسان ، وهي زيادة العقوبة والغيب من الله تعالى لمن تجاوز الحدود ، واستهان بالمحرمات ، وخالف القوانين السماوية ، فهذا ينال زيادة المقت والخسران في الدنيا ، وزيادة العذاب يوم القيامة .

الفصل الاول

زيادة الفأل والنعمة واسبابهما

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وهيء له اسباب الحياة ، وجعل الحياة الدنيا ساحة اختبار ليميز الخبيث من الأبي ، واكرم الخلق بالنعمة التي تعجز العقول حصرها ، وجعل سبحانه اسبابا عديدة لزيادة الفأل والنعمة ، أجمل بعضها ، وفصل الآخر . وقد ذكر القرآن الكريم بعض هذه الاسباب وهي :-

اولا : الايمان والعمل الصالح .

قال تعالى ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَالِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(٣) ، فالله تعالى يستجيب ويقبل عبادة من أخلص له بقلبه وأطاع ببدنه ، وقيل : يعيهم مسألتهم إذا دعوه ، وقيل : ويجيب دعاء المؤمنين بعهم لبعض يقال : أجاب واستجاب بمعنى . وقال ابن عباس : ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات يشفعهم في إخوانهم (ويزيدهم من فله) : قال : يشفعهم في إخوان إخوانهم^(٤) .

ثانيا : قراءة القرآن وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .

(١) ينظر مختار الصحاح / ٢٧٩-٢٨٠ ، ولسان العرب / ٣/١٩٨ .

(٢) ينظر لسان العرب / ٣/٢٩٩ .

(٣) الشورى / ٢٦ .

(٤) ينظر الجامع لاحكام القرآن / ٢٦/١٦ .

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُؤْفِقَهُمُ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَ لَهُ إِنَّهُ عَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١) وهذه هي آية القراء العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة الفرض والنفل، وكذا في الإنفاق فهؤلاء يرجون تجارة لن تبور^(٢).

إن تلاوة القران الكريم تعني شيئاً آخر غير المرور بكلماته بصوت او بغير صوت إنها تعني التلاوة عن تدبير ، التي تنتهي الى ادراك وتأثر ، والى عمل بعد ذلك وسلوك . ومن ثم يتبعها بإقامة الصلاة ، وبالإنفاق سرّاً وعلانية من رزق الله . ثم رجاهم بكل هذا (تجارة لن تبور) فهم يعرفون أن ما عند الله خير مما ينفقون . ويتاجرون تجارة كاسبة م مونة الربح ، يعاملون فيها الله وحده وهي اربح معاملة ؛ ويتاجرون بها في الآخرة وهي اربح تجارة .. تجارة مؤدية الى توفيتهم أجورهم ، وزيادة من ف ل الله^(٣) .

أما هذه الزيادة فقد قيل أنها الشفاعة في الآخرة وهذا مثل الآية الأخرى، وهي قوله تعالى ﴿رَجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا تِجَارَةٌ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَ لَهُ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٤).

ثالثاً : شكر النعمة .

قال تعالى ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٥) أي لئن شكرتم إنعمي لأزيدنكم من ف لي، ولئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي، ولئن وحدثم وأطعتم لأزيدنكم من الثواب والمعنى متقارب في هذه الأقوال . والآية نص في أن الشكر سبب المزيد^(٦). والمتأمل لهذا النص يشعر بالاطمئنان لهذه الحقيقة وهذا الوعد الصادق من الله تعالى ، فلا بد من تحققه على اية حال ، فإذا اردنا ان نرى مصداقها في الحياة ، ونبحث عن اسبابه المدركة لنا ، فعلينا أن لا نبتعد كثيراً في تلمس الاسباب . إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية ، فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه ال بيعي في الفرة المستقيمة ، وكذلك فإن النفس التي تشكر الله على نعمته ، تراقبه في التصرف بهذه النعمة ، بلا ر وبلا استعلاء على الخلق ، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والفساد^(٧).

وفي هذا كله تزكية للنفس ، ودفع لها للعمل الصالح ، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها ؛ ويرضي الناس عنها وعن صاحبها ، فيكونون له عوناً ؛ ويصلح روابط المجتمع فتتمو فيه الثروات في امان إلى آخر الاسباب ال بيعية الظاهرة لنا في

(١) فاطر / ٢٩-٣٠ .

(٢) ينظر الجامع لاحكام القران ٣٤٥/١٤ .

(٣) ينظر في ظلال القران ٢٩٤٣/٥ .

(٤) ينظر الجامع لاحكام القران ٣٤٥/١٤ ، والآية من سورة النور / ٣٧-٣٨ .

(٥) ابراهيم / ٧ .

(٦) ينظر الجامع لاحكام القران ٣٤٣/٩ .

(٧) ينظر في ظلال القران ٢٠٨٨/٤-٢٠٨٩ .

الحياة . وإن كان وعد الله بذاته يكفي لأطمئنان المؤمن ، أدرك الاسباب أو لم يدركها ، فهو حق واقع لأنه وعد الله^(١) .

الفصل الثاني

زيادة الايمان والهدى والخشوع

المبحث الاول : زيادة الايمان

الم لب الاول : أسباب زيادة الايمان

ذكر القران الكريم لنا اسبابا لزيادة الايمان فمن رؤيا للمعجزات الباهرات ، ومن تأمل بالنعم والعيا ، ومن نظر في ملكوت رب الارض والسماوات ، ومن حكم أخرى يترفع الإنسان عن الدنيا ويتقرب الى الله تعالى بالعبادة والعبادة ، ومن هذه الاسباب التي ذكرها القران :-

اولا : انزال السكينة .

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَبِاللَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٢) فانه الذي أنزل السكينة الثبات والمانينة في قلوب المؤمنين حتى ثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الأقدام (ليزدادوا إيماننا مع إيمانهم) يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها أو نزل فيها السكون إلى ما جاء به الرسول ﷺ (ليزدادوا إيماننا) بالشرائع مع إيمانهم بالله واليوم الآخر^(٣) .

وعن ابن عباس : قال إن الله جل ثناؤه بعث نبيه محمدا ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله فلما صدقوا بها زادهم الصلاة فلما صدقوا بها زادهم الصيام فلما صدقوا به زادهم الزكاة فلما صدقوا بها زادهم الحج ثم أكمل لهم دينهم فقال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، قال ابن عباس : فأوثق إيمان أهل الأرض وأهل السموات وأصدقته وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله^(٤) .

وقال الكلبي : كلما نزلت آية من السماء فصدقوا بها ازدادوا تصديقا إلى تصديقهم^(٥) .

وقال الربيع بن أنس : خشية مع خشيتهم^(٦) .

(١) ينظر المصدر نفسه ٢٠٨٩/٤ .

(٢) الفتح / ٤ .

(٣) ينظر تفسير البيهقي ٢٠٠/٥ ، وتفسير أبي السعود ١٠٥/٨ .

(٤) ينظر تفسير البري ٧٢/٢٦ ، وتفسير أبي السعود ١٠٥/٨ .

(٥) ينظر فتح القدير ٤٥/٥ .

(٦) ينظر المصدر نفسه ٤٥/٥ .

وقال الـ بري : ليزدادوا بتصديقهم بما جدد الله من الفرائض التي أزمهموها التي لم تكن لهم لازمة إيمانا مع إيمانهم^(١).

ثانيا: نزول وسماع القران.

قال تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾^(٢) يقول الـ بري : يقول تعالى ذكره ليس المؤمن بالذي يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه والالتقياد لحكمه ولكن المؤمن هو الذي إذا ذكر الله وجل قلبه وانقاد لأمره وخدمه لذكره خوفا منه وفرقا من عقابه وإذا قرئت عليه آيات كتابه صدق بها وأيقن أنها من عند الله فزاد بتصديقه بذلك إلى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله إياهم إيمانا^(٣).

وقال القرطبي : أي تصديقا فإن إيمان هذه الساعة زيادة على إيمان أمس فمن صدق ثانيا وثالثا فهو زيادة تصديق بالنسبة إلى ما تقدم^(٤).

وقيل : هو زيادة انشراح الصدر بكثرة الآيات^(٥).

إن القلب المؤمن ليجد في آيات الله ما يزيده إيمانا ، وما ينتهي به الى الاطمئنان ، فهذا القران يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة ، ولا يحول بينه وبينه شيء الا الكفر الذي يحجبه عن القلب ويحجب القلب عنه ؛ فإذا رفع هذا الحجاب بالايمان وجد القلب حلاوة هذا القران ، ووجد في إيقاعاته المتكررة زيادة في الايمان تبلغ الى الاطمئنان ، وكما أن إيقاعات القران على القلب المؤمن تزيده ايمانا ، فإن القلب المؤمن هو الذي يدرك هذه الايقاعات التي تزيده ايمانا^(٦).

وقال تعالى ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٧) فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا، أي : يقينا وتصديقا(وهم يستبشرون) يفرحون بنزول القران ، وأما الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق فزادتهم رجسا إلى رجسهم أي كفرهم فعند نزول كل سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها^(٨).

قال مجاهد : هذه الآية إشارة إلى الإيمان يزيد وينقص ، وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه فيقول تعالوا حتى نزداد إيمانا، وقال علي بن أبي طالب : إن الإيمان

(١) ينظر تفسير الـ بري ٧١/٢٦ .

(٢) الانفال /٢-٤ .

(٣) ينظر تفسير الـ بري ١٧٨/٩ .

(٤) ينظر الجامع لاحكام القران ٣٦٧/٧ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ٣٦٧/٧ .

(٦) ينظر في ظلال القران ١٤٧٥/٣ .

(٧) التوبة /١٢٤- ١٢٥ .

(٨) ينظر تفسير البغوي ٣٤٠/٢ .

يبدو لمعة بيضاء في القلب فكلما ازداد الإيمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وإن النفاق يبدو لمعة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله^(١).

ثالثا : عدة الملائكة .

قال تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِيُوقِنَ مَنْ بَشَاءَ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾^(٢) أي ليوثقن الذين آمنوا والتوراة والإنجيل أن عدة خزنة جهنم موافقة لما عندهم ، قاله ابن عباس وقتادة والحاك ومجاهد وغيرهم ثم يحتتمل أنه يريد الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام ويحتتمل أنه يريد الكل. ويزداد الذين آمنوا إيمانا بذلك لأنهم كلما صدقوا بما في كتاب الله آمنوا ثم ازدادوا إيمانا لتصدقهم بعدد خزنة جهنم^(٣).

رابعا : تكاليف الأعداء للقتال.

قال تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾^(٤) في الآية ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) أي صبرا على البلاء وتسليما للقاء الله وتصديقا بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله^(٥).

هاهو الذي يرحم يصدق بالمؤمنين ، وهاهو الفرع يحيط بهم من كل جانب ، ومما يصور الحالة ابلغ تصوير خبر حذيفة بن اليمان ، فالنبي عليه الصلاة والسلام يحس ويشعر بالحالة التي اصبح عليها جنده واصحابه ، فيقول : (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع . يشترط له رسول الله الرجعة . أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة) ومع هذا الشرط بالرجعة ، ومع هذا الدعاء المأمون بالرفقة مع رسول الله في الجنة ، فإن احدا لا يلي . فلما لم يتم أحد عين الرسول ﷺ بالأسم (حذيفة) ، عند ذلك كما يقول حذيفة لم يكن لي بد من القيام حين دعاني ، وهذا لا يكون الا في أقصى درجات الزلزلة ، وأشد انواع الفرع^(٦). وعندما وقعت هذه الزلزلة اتخذوها سببا للنصر ، فقد صدقوا قول الله تعالى في سورة البقرة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ

(١) ينظر تفسير البيهقي ٣٤٠/٢ .

(٢) المدثر / ٣١ .

(٣) ينظر تفسير الـ بري ١٦١/٢٩ ، والجامع لاحكام القران ٨٢/١٩ ، وفتح القدير ٣٣٠/٥ .

(٤) الاحزاب / ٢٢ .

(٥) ينظر تفسير الـ بري ١٤٤/٢١ .

(٦) ينظر في ظلال القران ٢٨٤٣/٥ .

قُرَيْبٌ^(١) وهامهم يزلزلون ، فنصر الله إذن قريب منهم ، ومن هذا فإن أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء قالوا ﴿ هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾ وتصديقا بما وعدهم الله وتسليما لقا ء الله^(٢) .

يقول الشوكاني : (بين سبحانه ما وقع من المؤمنين المخلصين عند رؤيتهم للأحزاب ومشاهدتهم لتلك الجيوش التي أحاطت بهم كالبجر العباب فقال ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الإشارة بقوله هذا إلى ما رأوا من الجيوش أو إلى الخ ب الذي نزل والبلاء الذي دهم ، وهذا القول منهم قالوه استبشارا بحصول ما وعدهم الله ورسوله من مجيء هذه الجنود وأنه يتعقب مجيئهم إليهم نزول النصر والظفر من عند الله و (ما) في (ما وعدنا الله) هي الموصولة أو المصدرية ثم أردفوا ما قالوه بقولهم وصدق الله ورسوله أى ظهر صدق خبر الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ، أى ما زادهم ما رأوه إلا إيمانا بالله وتسليما لأمره)^(٣) .

قال الفراء : (ما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانا وتسليما ، وقال على بن سليمان : رأى يدل على الرؤية وتأنيث الرؤية غير حقيقي والمعنى ما زادهم الرؤية إلا إيمانا للرب وتسليما للقا ء ولو قال ما زادتهم لجان)^(٤)

وقال سبحانه ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾^(٥) فهامهم الإعداء وقد تكالبوا على المسلمين ، وبدأ الكلام ينتشر حول هذه الجموع الغفيرة المتوجهة الى المدينة ، فما كان ذلك الأمر إلا ان زادهم قول الناس إيمانا ، أي تصديقا ويقينا في دينهم وإقامة على نصرتهم وقوة وجرأة واستعدادا^(٦) .

الم لب الثاني : زيادة الايمان ونقصانه

لتحريير هذا الموضوع لا بد من معرفة معنى (الايمان) ، وقد اختلف المتكلمون في ذلك ، فذهب قسم منهم الى انه التصديق بالجنان ، أما الاقرار باللسان فهو شرط لاجراء الاحكام في الدنيا .

والى هذا ذهب ابو منصور الماتريدي والامام ابو حنيفة^(٧) .

وذهب بعض العلماء الى انه التصديق بالقلب ، والاقرار باللسان ، وهو رأي الكثير ، منهم الامام البيهقي والسرخسي والاشعري^(٨) .

(١) البقرة / ٢١٤ .

(٢) ينظر تفسير الـ بري ١٤٤/٢١ ، وفي ظلال القرآن ٢٨٤٣/٥ .

(٣) فتح القدير ٢٧١/٤ .

(٤) الجامع لاحكام القرآن ١٥٧/١٤ ، و ينظر فتح القدير ٢٧١/٤ .

(٥) آل عمران / ١٧٣ .

(٦) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٨٠/٤ .

(٧) ينظر شرح النسفية ، للتقازاني / ٢٠٤ ، وشرح النسفية ، د. عبد الملك السعدي / ١٤٧ .

(٨) ينظر شرح النسفية ، د. عبد الملك السعدي / ١٤٧ .

وذهب البعض الآخر الى انه تصديق في الجنان واقرار باللسان والعمل بالاركان ، وهؤلاء اختلفوا في هل هو ركن اساسي كما قال المعتزلة والخوارج ، ام هو ركن للايمان الكامل كما نقل عن الشافعي وبعض المتكلمين والمحدثين (١).

ومن هذه التعاريف يمكننا القول بأن العلماء اختلفوا في زيادة الايمان ونقصانه على رأيين:-

الاول : ان الايمان يزيد وينقص ، وهو رأي من اعتبر الاعمال ركنا للايمان الكامل ، ومن ادلتهم :- قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تَلَّيْت عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ (٢) ، ويقول النبي ﷺ (لو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه مع ايمان الخلاق لرجح ايمان ابي بكر) (٣) ، أنه لو لم تتفاوت حقيقة الايمان لكان ايمان آحاد الأمة بل المنهكين في الفسق والمعاصي مساويا لايمان الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام ، واللزام باطل فكذا الملزوم.

وقال محيي الدين النووي في معرض بيان ذلك : (إن كل أحد يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتى يكون في بعض الأحيان أعظم يقينا وإخلاصا منه في بعض غيرها فكذلك التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها) (٤).

الثاني : ان الايمان لا يزيد ولا ينقص ، وهو قول من لم يجعل الايمان من ضمن الاعمال ، ومن ادلتهم أن الله عطف العمل على الايمان ، والعطف يقتضي المغايرة ، فقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ (٥) ومن هذا فالاعمال الصالحة لا تدخل في الايمان ، فلا تؤثر فيه زيادة أو نقصانا ومن ادلتهم أيضا أن الله جعل الايمان شرطا لقبول العمل ، فقال سبحانه ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ دَكْرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ (٦) ففيه دليل على ان العمل غير الايمان . وكذلك فقد اطلق الايمان على من عمل المعاصي ، وفي هذا دليل على ان الاعمال لا أثر لها في الايمان (٧) .

واجابوا على الفريق الاول ان الزيادة تكون في ثمرة الايمان وأثره الذي هو العمل فإنه يزيد بالاعادة ويعف بالمعصية (٨) .

والخلاف ليس جوهريا بين الفريقين ، فمن قال ان العمل هو ثمرة الايمان فقد اثبت له الزيادة والنقصان ، ومن قال انه ركن فيه قال بزيادة الايمان ونقصانه ، فالتعارض شكلي والله اعلم .

(١) ينظر المصدر نفسه / ١٤٧ .

(٢) الانفال / ٢ .

(٣) رواه اسحاق بن راهويه، ينظر كتاب تمييز الاربعة من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث ، لابن البديع / ١٣٤ .

(٤) شرح النسفية ، د. عبد الملك السعدي / ١٤٩ .

(٥) الكهف / ١٠٧ .

(٦) النساء / ١٢٤ .

(٧) ينظر شرح النسفية ، د. عبد الملك السعدي / ١٥٠ .

(٨) ينظر المصدر نفسه / ١٥٠ .

المبحث الثاني : زيادة الهدى

الم لب الاول: زيادة من اهتدى بالهدى

ان من فضل الله تعالى على عباده ان من سلك طريق الهداية انار الله قلبه وعقله وفؤاده بالايمن والامان ، وبالراحة والاطمئنان ، ومن طلب الهدى أعانه وزاده ، ومن سأل الخير أجابه وضاعفه .

ويعرض لنا القرآن طبيعة هذه الزيادة ، فيقول جل ذكره ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (١) ، فالذين وفقهم الله لاتباع الحق وشرح صدورهم للإيمان به وبرسوله من الذين استمعوا إليك يا محمد فإن ما تلوته عليهم وسمعوه منك زادهم هدى، يقول زادهم الله بذلك إيماناً إلى إيمانهم وبيانا لحقيقة ما جئتهم به من عند الله إلى البيان الذي كان عندهم(٢).

وقال البيهقي (٣) : (أي زادهم الله بالتوفيق والإلهام أو قول الرسول صلى الله عليه وسلم) (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل القرآن (آمنوا به) فكان هدى فلما تبين الناسخ من المنسوخ زادهم هدى(٤).

ويجوز أن يكون المعنى وزادهم استهزاء المنافقين هدى(٥).

إن الله سبحانه وتعالى اذا رأى عباده متمسكين به ريق الهدى فانه سيثبتهم عليها ويزيدهم في النصره وينزل من الآيات ما يكون سبب زيادة اليقين مجازاة لهم(٦).

وقال سبحانه ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (٧) يبين تعالى ذكره إن من سلك قصد المحبة ، واهتدى لسبيل الرشده فأمن بربه وصدق بآياته فعمل بما أمره به وانتهى عما نهاه عنه فانه يزيده هدى بما يتجدد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه ويقر بلزوم فرضها إياه ويعمل بها فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه(٨).

الم لب الثاني : زيادة الهدى لأصحاب الكهف

وهذه صورة خاصة من صور الهداية تحمل الكثير من المعاني الجليلة ، الأ وهي صورة الفتية الذين طرق الايمان قلوبهم ، واستأذنت الهداية العيش فيها ، فكان الفل من الله تعالى ان زادهم من هذا الخير ، ومنحهم رضوانه الذي لاشيء بعده ، قال تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ

(١) محمد / ١٧ .

(٢) ينظر تفسير الـ بري ٥١/٢٦ ، وفتح القدير ٣٥/٥ .

(٣) تفسير البيهقي / ١٩٣/٥ .

(٤) ينظر الجامع لاحكام القرآن ١٤٤/١١ ، والدر المنثور ٤٦٧/٧ ، وفتح القدير ٣٥/٥ .

(٥) ينظر معاني القرآن ٤٧٦/٦ ، وفتح القدير ٣٥/٥ .

(٦) ينظر الجامع لاحكام القرآن ١٤٤/١١ .

(٧) مريم / ٧٦ .

(٨) ينظر تفسير الـ بري ١١٩/١٦ ، وفتح القدير ٣٤٨/٣ .

عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى^(١) فهو لاء الفتية آمنوا بربهم أي أترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو ، فكانت الزيادة من الله سبحانه (وزدناهم هدى) وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم ، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فإنهم لو كانوا على دين النصرانية لما أعتنى أحبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم ، وقد روي عن ابن عباس أن قريشا بعثوا إلى أحبار اليهود بالمدينة يلبون منهم أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ فبعثوا إليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذي القرنين وعن الروح فدل هذا على أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه مقدم على دين النصرانية^(٢).

لقد ربط الله على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض يقول تعالى وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدببتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة فإنه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف أنهم كانوا من أبناء ملوك وسادتهم^(٣).

وقوله تعالى (وزدناهم هدى) أي زدناهم إلى إيمانهم بربهم إيماناً وبصيرة بدينهم حتى صبروا على هجران دار قومهم والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه إلى خشونة المكث في كهف الجبل، ويسرناهم للعمل الصالح من الانقاع إلى الله تعالى ومباعدة الناس والزهد في الدنيا وهذه زيادة على الإيمان^(٤).

وقال السدي : زادهم هدى بكلب الراعي حين طردوه ورجموه مخافة أن ينبج عليهم وينبه بهم فرفع الكلب يديه إلى السماء كالداغي فأدق الله فقال يا قوم لم تردوني لم ترجموني لم تردوني فوالله لقد عرفت الله قبل أن تعرفوه بأربعين سنة فزادهم الله بذلك هدى^(٥).

وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس في قوله (وزدناهم) هدى قال : إخلاصاً^(٦).

وقال أبو السعود : وزدناهم هدى بأن ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه^(٧).

وقال الالوسي : وفي زدناهم التفات من الغيبة إلى التكلم الذي عليه سبك النظم الكريم سباقاً وسباقاً وفيه من تعظيم أمر الزيادة ما فيه^(٨).

وأضاف الالوسي : في ذلك إشارة إلى الجلوة بعد الخلوة وهما قولان متقاربان ، نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم الإيمان العلمي (وزدناهم) هدى بأن أدرناهم وكاشفناهم وربنا على قلوبهم سكتها عن التزلزل بما أسكننا فيها من اليقين فلم

(١) الكهف / ١٣ .

(٢) ينظر تفسير البهي ، اوي ٤٨٢/٣ .

(٣) ينظر تفسير البهي ، اوي ٤٨٢/٣ ، وتفسير القرآن العظيم ٧٥/٣ ،

(٤) ينظر تفسير البهي ، بري ٢٠٧/١٥ ، والجامع لاحكام القرآن ٣٦٥/١٠ ، وتفسير الثعالبي ٣٧١/٢ ، وزاد المسير ١١٥/٥

(٥) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٣٦٥/١٠ .

(٦) ينظر الدر المنثور ٣٧١/٥ .

(٧) ينظر تفسير ابي السعود ٢١٠/٥ .

(٨) ينظر روح المعاني ٢١٨/١٥ .

يسمح فيها هواجس التخمين ولا وساوس الشياطين ، ويقال أي ل : رفعناها من حـ يض التلوين إلى أوج التمكين إذ قاموا بنا لنا فقالوا ربنا رب السموات والأرض مالك أمرهما ومدبرهما فلا قيام لهما إلا بوجوده المفاض من بحار جوده لن ندعو من دونه إليها إذ ما من شيء إلا وهو محتاج إليه سبحانه فلا يصح لأن يدعي لقد قلنا إذا شـ ا كلاما بعيدا عن الحق مفردا في الظلم (١)

المبحث الثالث : زيادة الخشوع

وهذا الآخر هو مظهر من مظاهر النعم التي يختص الله بها من يشاء من عباده ، ولا تتسنى لأي أحد ، قال تعالى ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجْدًا* وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا* وَيَجْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَكُونُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾^(١). ذكر ابن عباس وابن جبير ومجاهد أن هذه الآية نزلت بسبب وفد بعثتهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ ليرووه ويعرفوا حاله فقرأ النبي ﷺ القرآن فبكوا وأمنوا ورجعوا إلى النجاشي فأمن ولم يزل مؤمنا حتى مات فصلى عليه النبي ﷺ وروي أن نعش النجاشي كشف للنبي عليه الصلاة والسلام فكان يراه من موضعه بالمدينة وجاء الخبر بعد مدة أن النجاشي دفن في اليوم الذي صلى فيه النبي ﷺ عليه^(٢).

قال أبو صالح كانوا سبعة وستين رجلا ، وقال ابن جبير كانوا سبعين عليهم ثياب الصوف وكلهم صاحب صومعة اختارهم النجاشي^(٣).

وهذا المشهد مؤثر للغاية ، مشهد الذين أوتوا العلم من قبله ، وهم يسمعون القرآن ، فيخشعون ويخرون للأذقان سجدا فهم لا يتمالكون أنفسهم ، وتخرج الكلمات من الأفواه ، وتفيض الدموع من العيون فرحا ، وخشوعا . فيأتي الكرم من الله ويحل الرضوان بزيادة هذا الخشوع فوق ما استقبلوه من خشوع^(٤).

وصدر الآية في قرب المودة عام فيهم ولا يتوجه أن يكون صدر الآية خاصا فيمن آمن وإنما وقع التخصيص من قوله تعالى (وإذا سمعوا) وجاء الـ مير عاما إذ قد تحمد الجماعة بفعل واحد منهم وفي هذا استدعاء للنصارى ولـ ف من الله بهم ليؤمنوا^(٥).

وقال ابن الجوزي : (ويزيدهم خشوعا) أي يزيدهم القرآن تواضعا، وكان عبد الأعلى التيمي يقول من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق أن لا يكون أوتي علما ينفعه لأن الله تعالى نعت العلماء فقال (ان الذين اوتوا العلم) إلى قوله (يبكون)^(٦).

(١) ينظر المصدر نفسه ٢٥٨/١٥ .

(٢) الاسراء : ١٠٧-١٠٩ .

(٣) ينظر تفسير الثعالبي ٤٨٢/١ .

(٤) ينظر المصدر نفسه ٤٨٢/١ .

(٥) ينظر في ظلال القرآن ٢٢٥٤/٤ .

(٦) ينظر تفسير الثعالبي ٤٨٢/١ .

(٧) ينظر زاد المسير ٩٨/٥ .

ويخرون للاذقان ، يجوز أن يكون المعنى يخرون للوجوه فاكتفى بالذقن من الوجه كما يكتفى بالبعض من الكل وبالنوع من الجنس ، وكرر القول (يخرون) ليبدل على تكرار الفعل منهم^(١).

الفصل الثالث

زيادة الكفر والخسران والمهانة في الدنيا

المبحث الاول : زيادة الكفر

ان الله سبحانه وتعالى يعلم ما كان، وما يكون، وما هو كائن، ومن هذا فهو يعلم ان من الناس ناس اذا وطئت اقدامهم طريق الهدى ساروا فيه، ومنهم من اذا دعوتهم ليلا ونهارا لم يزداهم دعاؤك الا فرارا . فأما القسم الاول : فان الله تعالى يفيض عليهم من الانوار ما يدلهم على الحق، وأما القسم الثاني فيزيدهم من الظلمة التي ملئت قلوبهم، وأعمت أبصارهم . وقد عرض القران الكريم صور زيادة الكفر كما عرض صور زيادة الهدى والايمان، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَأَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْآلُونَ﴾^(٢) إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعبسى والإنجيل بعد الإيमान بموسى والتوراة، ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن . أو كفروا بمحمد بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالإصرار والعناد والصد عن الإيमान ونقض الميثاق، أو كفروا ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون أو نرجع إليه ونناقفه باظهاره، لن تقبل توبتهم لأنهم لا يتوبون أو لا يتوبون إلا إذا أشرفوا على الهلاك فكفى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وإبرازا لحالهم في صورة حال الأيسين من الرحمة، أو لأن توبتهم لا تكون إلا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه . وأولئك هم الآلون الثابتون على الآلال .^(٣)

وقيل إن تقبل توبتهم التي كانوا عليها قبل أن يكفروا لأن الكفر قد أحبها . وقيل : لن تقبل توبتهم إذا تابوا من كفرهم إلى كفر آخر وإنما تقبل توبتهم إذا تابوا إلى الإسلام . وقال ق : رب : (هذه الآية نزلت في قوم من أهل مكة قالوا : نتربص بمحمد ريب المنون فإن بدا لنا الترجعة رجعنا إلى قومنا فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أزدَادُوا كُفْرًا لَأَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ أي لن تقبل توبتهم وهم مقيمون على الكفر فسامها توبة غير مقبولة لأنه لم يصح من القوم عزم والله عز وجل يقبل التوبة كلها إذا صح العزم^(٤).

وقال مجاهد : (ان هذه نزلت في جميع الكفار أشركوا بعد إقرارهم بأن الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا، أي أقاموا على كفرهم حتى هلكوا عليه قال الحسن (ثم ازدادوا كفرا) كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا كفرا)^(٥)، وقال الكلبي: (نزلت في أحد عشر من أصحاب

(١) ينظر المصدر نفسه ٩٨/٥ .

(٢) آل عمران / ٩٠ .

(٣) ينظر تفسير آل بيري ٣٤٣/٣، والجامع لاحكام القران ١٣١/٤، وتفسير البيه اوي ٦٣/٢، وتفسير ابي السعود ٥٦/٢ .

(٤) الجامع لاحكام القران ١٣١/٤ .

(٥) تفسير البغوي ٣٢٤/١ .

الحارث بن سويد لما رجع الحارث إلى الإسلام أقاموا هم على الكفر بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى أردنا الرجعة نزل فينا ما نزل في الحارث فلما افتتح رسول الله ﷺ مكة فمن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم كافرا ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار﴾ الآية (١).

فإن قيل قد وعد الله قبول توبة من تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم وأولئك هم الذين كفروا لن تقبل توبتهم إذا رجعوا في حال المعايينة كما قال ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَرَّ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ (٢) وقيل هذا في أصحاب الحارث بن سويد حيث أعرضوا عن الإسلام وقالوا نتربص بمحمد ريب المنون فإن ساعده الزمان نرجع إلى دينه لن تقبل توبتهم لن يقبل ذلك لأنهم متربصون غير محققين وأولئك هم الذين كفروا (٣).

وكذلك فقد أرادوا تشكيك أصحاب رسول الله ﷺ فكانوا يظهرن الإيمان بدرتهم ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة فيكفرون ثم يظهرن ثم يقولون قد عرضت لنا شبهة أخرى فيكفرون ويستمرن على الكفر إلى الموت وذلك معنى قوله تعالى ﴿وَقَالَتْ طَأْفَةُ مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أَمْنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤).

وفي قوله تعالى ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾ بل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ﴿نجد مظهرا آخر من مظاهر الكفر ، والنسيء تأخير المحرم وكانوا يؤخرون تحريم شهر ويحرمون غيره مكانه لحاجتهم إلى القتال فيه ثم يردونه إلى التحريم في سنة ويحرمونه عاما وفيه أن الذنب في الوقت الشريف أعظم عقوبة لعموم تحريم قتالهم (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أي ليوافقوها يقول إذا حرموا من الشهور عدة الشهور المحرمة لم يبالوا أن يحلوا الحرام ويحرموا الحلال (٥).

وقال القرطبي (زيادة في الكفر) بيان لما فعلته العرب من جمعها من أنواع الكفر فإنها أنكرت وجود الباري تعالى فقالت ﴿وما الرحمن﴾ (٦) في أصح الوجوه وأنكرت البعث فقالت ﴿من يحيي العظام وهي رميم﴾ (٧) وأنكرت بعثة الرسول فقالوا ﴿أبشرا منا واحدا نتبعه﴾ (٨) وزعمت أن التحليل والتحريم إليها فابتدعت من ذاتها مقتنية لشهواتها فأحلت ما حرم الله ولا مبدل لكلماته ولو كره المشركون (٩).

وقال سبحانه ﴿ليواطئوا﴾ نصب بلام كي أي ليوافقوا تواطأ القوم على كذا أي اجتمعوا عليه أي لم يحلوا شهرا إلا حرموا شهرا لتبقى الأشهر الحرم أربعة وهذا هو

(١) تفسير البيهقي ٣٢٤/١ ، والآية من سورة البقرة ١٦١ .

(٢) النساء ١٨ .

(٣) ينظر تفسير البيهقي ٣٢٤/١ .

(٤) ينظر روح المعاني ١٧١/٥ ، والآية من سورة آل عمران ٧٢ .

(٥) التوبة ٣٧ .

(٦) ينظر التبيان في تفسير غريب القرآن ٢٢٤/١ .

(٧) الفرقان ٦٠ .

(٨) يس ٧٨ .

(٩) القمر ٢٤ .

(١٠) ينظر الجامع لاحكام القرآن ١٣٩/٨ .

الصحيح لا ما يذكر أنهم جعلوا الأشهر خمسة ، قال قتادة : (إنهم عمدوا إلى صفر فزادوه في الأشهر الحرم وقرنوه بالمحرم في التحريم) قاله عنه ق رب وال بري وعليه يكون النسب بمعنى الزيادة (١) .

فكانوا قد حدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم فأخروه إلى صفر فيحلون الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال ليواطئوا عدة محرم الله الأشهر الأربعة كما قال شاعرهم ، وهو عمير بن قيس المعروف بجدل الـ عان :-

لقد علمت معد بأن قومي كرام الناس إن لهم كراما
ألسنا الناسئين على معد شهور الحل نجعلها حراما
فأي الناس لم ندرك بوتر وأي الناس لم نسلك لجاما(٢)

وعن ابن عباس قال: (النسب : أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني كان يوافي الموسم في كل عام وكان يكنى أبا ثمامة فينادى ألا إن أبا ثمامة لا يجاب ولا يعاب ألا وإن صفر العام الأول العام حلال فيحله للناس فيحرم صفرأ عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قول الله (إنما النسب زيادة في الكفر) (٣) أي : يتركون المحرم عاما وعمام يحرمونه ، وعن مجاهد : (كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم على حمار له فيقول أيها الناس إني لا أعاب ولا أجاب ولا مرد لما أقول إنا قد حررنا المحرم وأخرنا صفر ثم يجئ العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول إنا قد حررنا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطئوا عدة محرم الله(٤) قال : يعني الأربعة فيحلوا محرم الله بتأخير هذا الشهر الحرام وروي عن أبي وائل والـ حاك وفتادة نحو هذا(٥) .

وقال سبحانه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلِيُزِيدَنَّا كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (١) فإنه تعالى يبين نصيب الذين لا يهتدون ، فهم اذا هاجتهم كلمة الحق ازدادوا طغيانا وكفرا ، فإنه سبحانه وتعالى يقرر أن اهل الكتاب ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم ، وقد علم الله ان مواجعتهم بهذه الحقيقة ستزيد الكثيرين منهم طغيانا وكفرا ، ثم أوصى حبيبه أن لا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فإن ضرر ذلك لاحق بهم لا يتداهم(٢) .

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٧٥/٢ .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم ٣٧٥/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٣٧٥/٢ .

(٤) المصدر نفسه ٣٧٥/٢ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ٣٧٥/٢ .

(٦) المائدة / ٦٨ .

(٧) ينظر تفسير البية اوي ٣٤٩/٢ ، وفي ظلال القرآن ٩٤٠-٩٣٩/٢ .

المبحث الثاني : زيادة الخسران

وهذا نوع آخر من انواع زيادة العقوبة في الدنيا ، الا وهي زيادة الخسارة والخسران ، قال تعالى في حق قوم نوح ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (١) فهاهو نوح عليه السلام وقد شكاهم إلى الله تعالى ، وأنهم عصوه ولم يتبعوه فيما أمرهم به من الإيمان ، قال أهل التفسير: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما داعيا لهم ، وهم على كفرهم وعصيانهم. واستمروا على تباع رؤسائهم الذين ابترتهم اموالهم وغرتهم اولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا اسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك اشعار بانهم انما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الاموال والاولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للتباع في الجملة.(٢)

قال ابن عباس: (رجا نوح عليه السلام الأبناء بعد الآباء فيأتي بهم الولد بعد الولد حتى بلغوا سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الإياس منهم وعاش بعد الـ وفان ستين عاما حتى كثر الناس وفسوا) (٣)

وننتقل الى مشهد آخر من مشاهد الخسران ، الذي كان من نصيب من اعرض عن كتاب الله ولم يلتزم باحكامه ، قال تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَرْبُدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٤) فلا يزيدهم إلا إهلاكا لأنهم كلما نزل شيء من القرآن فيه أمر من الله بشيء أو نهى عن شيء كفروا به فلم يأتروا لأمره ولم ينتهوا عما نهاهم عنه فزادهم ذلك خسارا إلى ما كانوا فيه قبل ذلك من الخسار ورجسا إلى رجسهم قبل ، وعن قتادة قوله (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) قال : (إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه ولا يزيد الظالمين به إلا خسارا ، أنه لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه وإن الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين) (٥).

وقال الشوكاني : (أى ولا يزيد القرآن كله أو كل بعض منه الظالمين الذى وضعوا التكذيب موضع التصديق والشك والإرتياب موضع اليقين والاطمئنان إلا هلاكا لأن سماع القرآن يغیظهم ويحنقهم ويدعوهم إلى زيادة ارتكاب القبائح تمردا و عنادا فعند ذلك يهلكون) (٦).

وهاهو القرآن يستخدم لفظا آخر للخسارة وهو (التئيب) في قوله تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَّيِبٍ﴾ (٧) أي غير تخسير قاله مجاهد وقتادة ، وفيه إضمار أي مازادتهم عبادة الأصنام فحذف المـ اف أي كانت عبادتهم إياها قد خسرتهم ثواب الآخرة . وهذا الخبر من الله تعالى ذكره وإن كان خبرا عن مـ ي من الأمم قبلنا فإنه وعيد من الله جل ثناؤه لنا أيتمها الأمة أنا إن سلكننا سبيل الأمم قبلنا في الخلاف عليه وعلى رسوله سلك بنا

(١) نوح / ٢١ .

(٢) ينظر تفسير ابي السعود ٤٠/٩ ، وروح المعاني ٧٩/٢٩ .

(٣) الجامع لاحكام القرآن ٣٠٦/١٨ .

(٤) الاسراء / ٨٢ .

(٥) تفسير الـ بري ١٥٣/١٥ .

(٦) فتح القدير ٢٥٣/٣ .

(٧) هود / ١٠١ .

سبيلهم في العقوبة وإعلام منه لنا أنه لا يظلم أحدا من خلقه وأن العباد هم الذين يظلمون أنفسهم^(١).

المبحث الثالث: زيادة الال لال

ومن ذلك اي ازيادة الال لال ، قال تعالى ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾^(٢)، أي عذابا قاله ابن بحر واستشهد بقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسَعِيرٍ﴾^(٣) وقيل إلا خسرانا وقيل إلا فتنة بالمال والولد وهو محتمل^(٤).

ومثله قوله تعالى ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾^(٥) إلا هلاكا فهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل أراد مشركي قومه ، والتبار الهلاك ، وقيل الخسران ، حكاهما السدي ، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ﴾^(٦) ، وقيل : التبار الدمار والمعنى واحد . وهو دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله ﴿رَبِّنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾^(٧) وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم^(٨).

وفي قوله سبحانه ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ قال ابو السعود : اي هلاكا، قيل غرق معهم صبيانهم أي الال لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم براءة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم من أنفسهم.

وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وأبيس اصلاب آبائهم قبل الال وفان بأربعين او سبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين غرقوا^(٩).

المبحث الرابع : زيادة المرض

اما زيادة المرض فلاصحاب القلوب المريفة التي لم تعرف الى الله طريقا تسلكه ، ومع هذه الزيادة فهناك عقوبة اخرى تنتظرهم يوم القيامة ، قال تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾^(١٠) ، قال ابن فارس اللغوي : (المرض كل ما خرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر)^(١١).

^(١) ينظر تفسير الال بري ١١٣/١٢ ، والجامع لاحكام القران ٩٥/٩ .

^(٢) نوح / ٢٤ .

^(٣) القمر / ٢٤ .

^(٤) ينظر الجامع لاحكام القران ٣١٠/١٨ .

^(٥) نوح / ٢٨ .

^(٦) الاعراف / ١٣٩ .

^(٧) يونس / ٣٤ .

^(٨) ينظر تفسير القران العظيم ٤٢٨/٤ .

^(٩) تفسير ابي السعود ٤٢/٩ ، وفتح القدير ٣٠٢/٥ .

^(١٠) البقرة / ١٠ .

^(١١) الجامع لاحكام القران ١٩٧/١ .

وقال البيه اوي : (المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في أفعاله ومجاز في الأعراض النفسانية التي تخل بكما لها كالجهد وسوء العقيدة والحسد وال غينة وحب المعاصي)^(١).

والمرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم وذلك إما أن يكون شكاً ونفاقاً ، وإما جحداً وتكديباً والمعنى : قلوبهم مرضى لخلوها عن العصمة والتوفيق والرعاية والتأييد ، وقد يكون معناه الرياء ، كما قال عكرمة وطاووس^(٢).

وقيل زادهم كفراً بزيادة التكاليف الشرعية لأنهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفراً ، ويجوز أن يكون المرض مستعاراً لما تداخل قلوبهم من العف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى إياهم مرضاً ما فعل بهم من إلقاء الروح وقذف الرعب في قلوبهم عند إعزاز الدين بإمداد النبي بإنزال الملائكة وتأييده بفنون النصر والتمكين ، فقوله تعالى (في قلوبهم مرض ..) الخ حينئذ استئناف تعليلي لقوله تعالى (يخادعون الله ..) الخ كأنه قيل ما لهم يخادعون ويدهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف ماعف هذه حالهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم^(٣).

وعن بعض المفسرين : (في قلوبهم مرض) أي بسكونهم إلى الدنيا وحبهم لها وغفلتهم عن الآخرة وإعراضهم عنها ، وقوله (فزادهم الله مرضاً) أي وكلهم إلى أنفسهم وجمع عليهم هموم الدنيا فلم يتفرغوا من ذلك إلى اهتمام بالدين ولهم عذاب أليم بما يفنى عما يبقى^(٤) ، وقال الجنيد : (علل القلوب من أتباع الهوى كما أن علل الجوارح من مرض البدن)^(٥).

المبحث الخامس : زيادة الرهق

لقد وضع الله تعالى قانوناً ونظاماً تسيّر الخلائق عليه ، ولكل عالم قوانينه وانظمته ، فليس لأفراد عالم أن يخرقوا هذه القوانين متجاوزين إلى الأخرى إلا بمشيئة الخالق سبحانه وتعالى ، ومن تجاوز على ذلك فقد يصيبه الـ رر لتغير الـ بائع والخلق ، كما أنه سينال العقوبة المقررة له لتجاوزه حدود نظامه ، قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (٦) ، كان الرجل في الجاهلية إذا نزل بواد قبل الإسلام قال إني أعوذ بكبير هذا الوادي فلما جاء الإسلام عادوا بالله وتركوهم ، وقوله (فزادوهم رهقا) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك فزاد الإنس بالجن باستعادتهم بعزيرهم جراءة عليهم وازدادوا بذلك إنما ، أي زاد الجن الإنس رهقا أي خـ يئة وإثما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة^(٧). والرهق : الإثم في كلام العرب وغشيان المحارم ، ورجل

(١) تفسير البيه اوي ١٦٦/١ .

(٢) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١ ، وتفسير القرآن العظيم ٤٩/١ .

(٣) ينظر تفسير أبي السعود ٤٢/١ .

(٤) ينظر الجامع لأحكام القرآن ١٩٧/١ .

(٥) المصدر نفسه ١٩٧/١ .

(٦) الجن ٦/ .

(٧) ينظر تفسير الـ بري ١٠٩/٢٩ ، وفتح القدير ٣٠٥/٥ ، وزاد المسير ٣٧٩/٨ .

رهق : إذا كان كذلك ، ومنه قوله تعالى ﴿ وترهقهم ذلة ﴾ وأضيفت الزيادة إلى الجن إذ كانوا سببا لها(١)

وقال مجاهد أي ا فزادوهم أي إن الإنس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا الإنس والجن وقال قتادة أي ا وأبو العالية والربيع وابن زيد أزداد الإنس بهذا فرقا وخوفا من الجن وقال سعيد ابن جبير : كفرأ. ولا خفاء أن الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر وشرك(٢).

يقول الـ بري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك فزاد الإنس الجن بفعلهم ذلك إنما وذلك زادوهم به استحلالا لمحارم الله(٣)

المبحث السادس زيادة الـ غيان

اما زيادة الـ غيان فلها وجه آخر ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ (٤) ، فعن اكثر اهل العلم ان الشجرة الملعونة في القرآن هي الزقوم(٥) ، وعن قتادة : هي شجرة الزقوم خوف الله بها عباده فافتتنوا بذلك حتى قال قائلهم أبو جهل بن هشام زعم صاحبكم هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر وإنما والله ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد فتزقموا فأنزل الله تبارك وتعالى حين عجبوا أن يكون في النار شجرة (٦)

وعن ابن زيد في قوله والشجرة الملعونة في القرآن الزقوم التي سألوها الله أن يملأ بيوتهم منها وقال: هي الصرغان بالزبد تتزقمه والصرغان صنف من التمر.

وقال آخرون: هي الكشوث(٧) ، روي ذلك عن ابن عباس انه سؤل عن الشجرة الملعونة في القرآن قال: هي هذه الشجرة التي تلوي على الشجرة وتجعل في الماء يعني الكشوثي(٨)

والراجح من ذلك هو الرأي الاول القائل بانها شجرة الزقوم لحجة من قال بذلك . ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) يقول ونخوف هؤلاء المشركين بما نتوعدهم من العقوبات والنكال فما يزيدهم تخويفنا إلا طغيانا كبيرا ، اي إلا تماديا وغيبا كبيرا في كفرهم وذلك أنهم لما خوفوا بالنار التي طعامهم فيها الزقوم دعوا بالتمر والزبد وقالوا تزقموا من هذا(٩) .

(١) ينظر الجامع لاحكام القران ١٠/١٩ .

(٢) ينظر تفسير الـ بري ١٠٩/٢٩ .

(٣) ينظر المصدر نفسه ١٠٩/٢٩ .

(٤) ينظر المصدر نفسه ١١٤/١٥ .

(٥) الإسراء: ٦٠

(٦) ينظر تفسير الـ بري ١١٤/١٥ .

(٧) الكشوث: نبت يتعلّق بأغصان الشجر من غير أن يـ رب بعزق في الأرض. (ينظر الصحاح للجوهري ١١٦/٢).

(٨) ينظر تفسير الـ بري ١١٥/١٥ .

(٩) ينظر تفسير الـ بري ١١٥/١٥ .

وروى أن أبا جهل أمر جارية فأد رت تمرا وزيدا وقال لأصحابه ترقموا^(١) .

لم ينفع التخويف مع هؤلاء شيئا ولم يزد هم الامر الا طغيانا كبيرا ، ولقد امهل الله تعالى قريشا ولم يهلكهم كبقية الامم لما كذبوا الرسل كقوم نوح وصالح ولوط وشعيب وبقيت دعوة النبي ﷺ الى ان عمّت مشارق الارض ومغاربها مع ما كابده عليه الصلاة والسلام ومعه المسلمون من محاربة واستهزاء وسخرية حتى جاء نصر الله والفتح ، وحتى أذن الله لهذا الامر ان يتم كما اراد ولو كره الكافرون .

المبحث السابع : زيادة الاثم

قال تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢) .

قد تحاك عقدة في بعض الصدور ، وشبهة تجول في بعض القلوب ، وعتاب تجيش به بعض الارواح مـ مونه : اننا نرى أعداء الله واعداء الحق ، متروكين لا يأخذهم العذاب ، ممتعين في ظاهر الامر ، بالقوة والسلطة والمال والجاه ، مما يوقع الفتنة في قلوبهم وقلوب الناس من حولهم ، ومما يجعل ضعاف الايمان يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يحسبون ان الله - حاشاه - يرضى عن الباطل والشر والجور والـ غيان ، فيملي له ويرخي له العنان ، أو يحسبون ان الله سبحانه وتعالى لا يتدخل في المعركة بين الحق والباطل ، فيدع للباطل أن يحد م الحق ، ولا يتدخل لنصرته ، أو يحسبون ان هذا الباطل حق ، وإلا فلم تركه الله ينمو ويكبر ويغلب ، أو يحسبون ان من شأن الباطل أن يغلب على الحق في هذه الارض ، وان ليس من شأن الحق ان ينتصر ، ويدع الـ غاية المفسدين يلجون في عتوهم وطغيانهم ، ويسارعون في كفرهم ، ويظنون ان الامر قد استقام لهم ، وان ليس هناك من قوة تقوى على الوقوف في وجههم. وهذا كله وهم باطل وظنّ بالله غير الحق ، فالامر ليس كذلك ، والله تعالى يحذر الكفار ان يظنوا هذا الظن ، فإذا كان سبحانه لا يأخذهم بكفرهم الذي يسارعون فيه ، وإذا كان يعيهم حظا في الدنيا يستمتعون فيه ويلهون فيه ، فإنما هي الفتنة ، وانما هو الكيد المتين ، وانما هو الاستدراج البعيد^(٣) .

قال ابن كثير : (فهذا وما أشبهه من استهزاء الله تعالى وسخريته ومكره وخديعته للمنافقين وأهل الشرك)^(٤) ، وقال آخرون بل استهزأه بهم توبيخه إياهم ولومه لهم على ماركبوا من معاصيه والكفر به ، وقال آخرون هذا وأمثاله على سبيل الجواب كقول الرجل لمن يخدعه إذا ظفر به أنا الذي خدعتك ولم يكن منه خديعة ولكن قال ذلك إذا صار الأمر إليه^(٥) .

(١) ينظر فتح القدير ٢٣٩/٣ .

(٢) آل عمران / ١٧٨ .

(٣) ينظر في ظلال القرآن ٥٢٤/١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥٢/١ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ٥٢/١ .

المبحث الثامن : زيادة الخيال

لم تكن الكثرة والقلة هي الصفة الاساس في حسم المعارك ، او هي الامر الأول في ميزان التفاضل بين القوى ، وهذا ما اكده القران الكريم في كثير من الآيات ، فإذا كانوا يدا واحدة مع كونهم قلة فهم اقرب للنصر من الكثرة المتفرقة الأهواء والآراء والقلوب ، والله تعالى يواسي المؤمنين ويثبتهم عندما تخلف أهل النفاق والشقاق ولم يخرجوا معهم للقتال ، فقال سبحانه وتعالى ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خَلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (١) فهو تسلية للمؤمنين في تخلف المنافقين عنهم . والخبال : الفساد والنميمة وإيقاع الإختلاف والأراجيف (٢).

ان القلوب المظلمة تبيت الخور والـ غف في الصفوف ، وان النفوس الخائنة خـ رعلى الجيوش ؛ ولو خرج اولئك المنافقون ما زادوا المسلمين قوة بخروجهم بل ل زادوهم اذ رابا وفوضى ، ولأسرعوا بينهم بالوقيعه والفتنة والتفريق والتخذييل ، وفي المسلمين من يسمع لهم في ذلك الحين . ولكن الله الذي يرعى دعوته ويكلأ رجالها المخلصين ، كفى المؤمنين الفتنة ، فترك اصحاب النفاق متخاذلين قاعدين(٣).

وقيل هذا الاستثناء منقـ ع أي ما زادوكم قوة ولكن طلبوا الخبال(٤) ، وقيل المعنى لا يزيدونكم فيما ترددون فيه من الرأي إلا خبالا فيكون متصلا وقيل هو استثناء من أعم العام أي ما زادوكم شيئا إلا خبالا فيكون الاستثناء من قسم المتصل لأن الخبال من جملة ما يصدق عليه الشيء(٥).

ولأوضعوا خلالكم : يقول : ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم ، وأصله من إيـ اع الخيل والركاب وهو الإسراع بها في السير(٦).

وأما قوله (يبعونكم الفتنة) يعني العنت والشر كما قال الكلبي ، وقال الـ حاك : الفتنة : الشرك(٧) .

وقوله (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد : (معناه وفيكم مخبرون لهم يؤدون إليهم ما يسمعون منكم وهم الجواسيس) (٨) ، وقال قتادة : (معناه وفيهم مـ يعون لهم أي يستمعون كلامهم ويـ يعونهم والله عليم بالظالمين) (٩) .

(١) التوبة / ٤٧ .

(٢) ينظر الجامع لاحكام القران ١٥٦/٨ .

(٣) ينظر في ظلال القران ١٦٦٣/٣ .

(٤) ينظر فتح القدير ٣٦٦/٢ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ٣٦٦/٢ .

(٦) ينظر تفسير الـ بري ١٤٤/١٠ .

(٧) ينظر تفسير البغوي ٢٩٨/٢ .

(٨) ينظر المصدر نفسه ٢٩٨/٢ .

(٩) ينظر المصدر نفسه ٢٩٨/٢ .

المبحث التاسع : زيادة المقت

وهاهم الخاسرون ينالون عقوبة أخرى تضاف الى سجل العقوبات ، وهي المتمثلة بزيادة المقت ، الذي هو البغض الشديد ، فلا يظن اولئك ان لهم قبولا عند الله او انهم سينالون رضوانه ، انما لهم المقت والخسران ، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (١) قال الشوكاني : (الإمقتا: أي غبا وبغسا ، وإلا خسارا : أي نقصا وهلاكاً) (٢). والمعنى أن الكفر لا ينفع عند الله حيث لا يزيدهم إلا المقت ولا ينفعهم في أنفسهم حيث لا يزيدهم إلا الخسار (٣). وهذا الذي يمقته ربه فاي خسران ينتظره ، فالمقت بحد ذاته خسران يفوق كل خسران (٤).

والتكبير للدلالة على عن اقتداء الكفر لكل واحد من الأمرين مستقل باقتداء قبحة ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الآخرة (٥).

المبحث العاشر: زيادة الفرار

مرّ علينا فيما سبق دعوة نوح عليه الصلاة والسلام ، وكيف انه ظلّ يدعو قومه السنين تلو السنين وما من امل يرتجى الا في بعض الافراد القلائل وسط استهزاء وسخرية الباقين ، قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ (٦) أي : تباعدا من الإيمان كما قال القرطبي: (٧).

وعن قتادة قال : (بلغني أنه كان يذهب الرجل بابنه إلى نوح فيقول لابنه احذر هذا لا يغررك فإن أبي قد ذهب بي وأنا مثلك فحذرنى كما حذرتك) (٨).

واسناد الزيادة الى الدعاء لسببته كما في قوله تعالى ﴿زادتهم ايمانا﴾ (٩).

(١) فاطر / ٣٩ .

(٢) فتح القدير / ٣٥٥/٤ .

(٣) ينظر فتح القدير / ٣٥٥/٤ .

(٤) ينظر في ظلال القرآن / ٢٩٤٧/٥ .

(٥) ينظر تفسير البيهقي / ٤٢٢/٤ .

(٦) نوح / ٦٥ .

(٧) ينظر الجامع لاحكام القرآن / ٣٠٠/١٨ .

(٨) الدر المنثور / ٢٨٩/٨ .

(٩) ينظر تفسير النسفي / ٢٨٢/٤ ، وتفسير ابي السعود / ٣٧/٩ ، وفتح القدير / ٢٩٧/٥ ، والآية من سورة الانفال / ٢ .

المبحث الحادي عشر : زيادة النفور

قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾^(١) أي زادهم قول القائل لهم اسجدوا للرحمن النفور عن الدين وكان سفيان الثوري يقول في هذه الآية : (إلهي زادني لك خـ وعما زاد أعداك نفورا)^(٢).

فهؤلاء المتبجحون يزعمون انهم لا يعرفون اسم (الرحمن) ويسألون عنه زيادة في الاستهتار ، وبلغ من تـ اولهم واستخفافهم ان يقولوا : ما نعرف الرحمن إلا ذاك باليمامة ، يعنون مسيلمة الكذاب^(٣).

وفي قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾^(٤) فإن مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببته للإغناء مع كونها متوقعة في بادي الرأي كما في قولك حلف أن يعـ يني حقي عند حلول الأجل فلما حل لم يعـ ني شيئا فإن المراد بيان عدم سببية حلول الأجل للإعـاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببته لعدم الإعـاء^(٥).

وهذا الاعراض والنفور هو الذي نجده ايـا في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾^(٦)، فقد جاء القرآن بالتوحيد ، وسلك طرقا شتى الى تقريرها وايـاحها ؛ ولكنهم يزدادون نفورا كلما سمعوا هذا القرآن ، نفورا من العقيدة التي جاء بها ، ونفورا لمحاربتة العقائد الباطلة التي يتمسكون بها ، فكان هذا النفور وهذا الابتعاد^(٧).

الفصل الرابع

زيادة النعيم والعذاب في الآخرة

المبحث الاول : زيادة النعيم في الآخرة

الزيادة في اليوم الاخر لها طعم خاص ، فمع النعيم الذي يجده الفائز بالجنان تأتي الزيادة التي تذهل العقول وتسحر العيون .

لقد عمل الانسان في الدنيا وهاهو يقـف ثمر هذا العمل وقد كان مخيرا بين طريقي الخير والشر فاختر هذا الـ ريق وهو هنا ينال هذا الخير العميم ، قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾^(٨) وقد شبه الله ثوابها بالزرع من حيث أنه فائدة تحصل بعمل ولذلك قيل الدنيا

(١) الفرقان / ٦٠ .

(٢) الجامع لاحكام القرآن ٦٤/١٣ .

(٣) ينظر في ظلال القرآن ٢٥٧٥/٥ .

(٤) فاطر / ٤٢ .

(٥) ينظر تفسير ابي السعود ٢٩٣/٤ .

(٦) الاسراء / ٤١ .

(٧) ينظر في ظلال القرآن ٢٢٣٠/٤ .

(٨) الشورى / ٢٠ .

مزرعة الآخرة والحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض ويقال للزرع الحاصل منه نزرده في حرثه ، فنع به بالواحد عشرا إلى سبعمائة فما فوقها، ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له في الآخرة من نصيب^(١). فمع هذه الزيادات التي ت العنا في جنة عرضها السموات والأرض.

لاشك ان اعظم هذه الزيادات هي ما ذكره الله تعالى بقوله ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)، وروى مسلم في صحيحه عن صهيب عن النبي ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما أعوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل . وفي رواية ثم تلا للذين أحسنوا الحسنَى وزيادة^(٣).

فما ظنك بهم حين ثقلت موازينهم وحين صارت الصحف في أيمنهم وحين جاوزوا جسر جهنم ودخلوا الجنة وأعدوا فيها ما أعوا من الكرامة والنعيم كل ذلك لم يكن شيئا فيما رأوا ، فيقال لهم إنه قد بقي من حقكم شيء لم تعوا ، فيتجلى لهم تبارك وتعالى ، فيصغر عندهم كل شيء أعوا . فالحسنَى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة بعد ذلك^(٤).

اما الغرض البلاغي من تنكير (زيادة) فهو التعظيم^(٥).

وقال سبحانه ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٦) (والمزيد من النعم مما لم يدر على بالهم . وقال انس وجابر رضي الله عنهما : المزيد هو النظر الى وجه الله تعالى بلا كيف

وعن ابن مسعود قال : تسارعوا الى الجمعة فان الله تبارك وتعالى يبرز لاهل الجنة كل يوم جمعة في كئيب من كافور ابيض فيكونون من القرب منه كما يقول ابن المبارك على قدر تسارعهم الى الجمعة في الدنيا^(٧).

المبحث الثاني : زيادة العذاب في الآخرة

وإذا كان حال اهل الجنة ان لهم زيادة من النعيم ، فان اهل النار لهم نصيب من الزيادة اي العذاب ، ولكن شتان بين الزيادتين . فإين انت من زيادة الرضا من الله سبحانه وتعالى ، وزيادة العذاب والسخط على من عصى وتكبر وتجبر .

ولقد عرض القران الكريم اسباب هذه الزيادة لاهل النار كما عرض لنا مشهدا مؤثرا للنار وهي تلب المزيد وتتناول ذلك بشيء من الايجاز وعلى ما لبين .

(١) ينظر تفسير البيهقي ١٢٧/٥ .

(٢) يونس/ ٢٦ .

(٣) صحيح مسلم ١٢٠/١ ، وينظر الجامع لاحكام القران ٣٣٠/٨ .

(٤) ينظر الجامع لاحكام القران ١٠٦/١١ .

(٥) ينظر تفسير البيهقي ١١٥/٢ .

(٦) ق/ ٣٥ .

(٧) ينظر الجامع لاحكام القران ٢١/١٧ .

الم لب الاول : أسباب زيادة العذاب

لزيادة العذاب اسباب تناولها القران الكريم بين الاجمال والتفصيل وهي :-

اولا : الكفر وال ابل والإفساد .

قال تعالى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (١) قال ابن مسعود عقارب أنيابها كالنخل ال وال وحيات مثل أعناق الإبل وأفاعي كأنها البخاتي ت ربهم فتلك الزيادة (٢) .

وقيل : المعنى يخرجون من النار إلى الزمهيرر فيبادرون من شدة برده إلى النار (٣) .

وقيل المعنى زدنا القادة عذابا فوق السفلة فأحد العذابين على كفرهم والعذاب الآخر على صدهم بما كانوا يفسدون في الدنيا من الكفر والمعصية (٤) .

لقد زادهم الله عذابا على كفرهم وعذابا على صدهم الناس عن اتباع الحق كقوله تعالى ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥) أي ينهون الناس عن اتباعه وبيتعدون هم منه أي ا وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم كما قال تعالى ﴿قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ (٦) .

وعن ابن عباس في الآية أنه قال : (زدناهم عذابا فوق العذاب) قال هي خمسة أنهار تحت العرش يعذبون ببيعها في الليل وبيعها في النهار (٧) .

وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ لِي لَلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وِكُمًّا وِصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٨) وهناك أكثر من قول في معنى (خبت) ومن ذلك :

- كلما خبت أي كلما طفنت أو قدت ، قاله مجاهد (٩) .
- كلما سكنت ، قاله ال حاك ، قال أبو جعفر : (يقال خبت النار إذا سكن لهيها فإن سكن لهيها وعاد الجمر رمادا قيل كبت فإن طفيء بعض الجمر وسكن اللهب قيل خمدت) (١٠) .

(١) النحل / ٨٨ .

(٢) ينظر الجامع لاحكام القران ١٦٤/١٠ .

(٣) ينظر المصدر نفسه ١٦٤/١٠ ، وفتح القدير ١٨٧/٣ .

(٤) ينظر المصدر نفسه ١٤٦٤/١٠ .

(٥) الانعام / ٢٦ .

(٦) ينظر تفسير القران العظيم ٥٨٢/٢ ، والآية من سورة الاعراف / ٣٨ .

(٧) ينظر تفسير القران العظيم ٥٨٢/٢ .

(٨) الاسراء / ٩٧ .

(٩) ينظر معاني القران ١٩٧/٤ .

(١٠) ينظر المصدر نفسه ١٩٧/٤ .

وعن ابن عباس : (كلما خبت قال خبوها أنها تسو بهم حـ با فإذا أحرقتهم فلم يبق منهم شيء صارت جمرا تتوهج فإذا بدلوا خلفا جديدا عاودتهم)^(١) ، وعن قتادة قوله (كلما خبت زدناهم سعيرا) : (يقول كلما احترقت جلودهم بدلوا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب)^(٢) .

ثانياً إلهـ غيان والكذب .

قال تعالى ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا* لِلَّذِينَ كَفَرُوا لَآبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا* لَا يَدْخُلُوهَا فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَافًا* جَزَاءً وَفَاقًا* إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا* وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا* وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا* فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾^(٣) ومعنى ذلك انه يقال لهؤلاء الكفار في جهنم إذا شربوا الحميم والغساق ذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذي كنتم به في الدنيا تكذبون ، فلن نزيدكم إلا عذابا على العذاب الذي أنتم فيه لا تخفيفا منه ولا ترفها^(٤) .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : (لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال فهم في مزيد من العذاب أبدا)^(٥) .

وقال سبحانه ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ* قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبئسَ الْقَرَارُ* قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ* وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ* أَنْخَذْنَاَهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾^(٦) في هذا المشهد العصيب نرى هذه المحاجة والمحاورة بين التابع والمتبوع داخل النار ، فهام المتبوعون يقولون للتبع لا مرحبا بكم ، فأجابهم الأتباع : بل أنتم لا مرحبا بكم بل أنتم أحق بما قلتم أوقيل لنا لـ لالكم وإضلالكم لنا، قدمتم العذاب أو الصلي لنا باغواننا وإغرائنا على ما قدمتموه من العقائد الزائغة والأعمال القبيحة فبئس المقر جهنم . وأضاف الأتباع أي : ﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار﴾ مـ اعفا أي ذا ضعف وذلك أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين^(٧) .

وعن ابن مسعود في قوله (فزده عذابا ضعفا في النار) قال : أفاعي وحيات^(٨) .

وهكذا نجد العذاب يتـ اعف على العصاة ، الذين اتخذوا الحياة الدنيا ساحة لهو واستكبار ، وعاثوا في الارض فسادا ، نراهم وقد اسودت سجلاتهم ، واسودت وجوههم من المعاصي والآثام ، وهم ينتظرون العذاب الاليم .

(١) تفسير الـ بري ١١٩/١٥ ، وينظر تفسير البيـ اوي ٤٦٨/٣ .

(٢) المصادر نفسها ١١٩/١٥ ، و ٤٦٨/٣ .

(٣) النبأ/ ٢١ - ٣٠ .

(٤) ينظر تفسير الـ بري ١٧/٣٠ .

(٥) تفسير الـ بري ١٧/٣٠ .

(٦) ص/ ٦٣-٥٩ .

(٧) ينظر تفسير البيـ اوي ١٧/٣٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٤٣/٤ .

(٨) ينظر معاني القرآن ١٣٢/٦ ، والدر المنثور ٢٠٠/٧ .

الم لب الثاني : طلب جهنم الزيادة لما يقذف فيها من المعذبين

والى مشهد مهول من مشاهد اليوم الآخر، ذلك المتمثل في جهنم وطلبها المزيد المزيد ، قال تعالى ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾^(١) سؤال وجواب جيء بهما للتخييل والتصوير والمعنى أنها مع اتساعها ترح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ أو أنها من شدة زفيرها وحدثها وتشبثها بالعصاة كالمستكثرة لهم ولا البة لزيادتهم^(٢).

قرأ نافع وأبو بكر يوم يقول بالياء اعتبارا بقوله ﴿لا تختصموا لدي﴾ والباقون بالنون على الذاب من الله تعالى وهي نون العظمة ، وقرأ الحسن يوم أقول ، وعن ابن مسعود وغيره يوم يقال ، وانتصب يوم على معنى ما يبذل القول لدي يوم ، وقيل بفعل مقدر معناه وأذره يوم نقول لجهنم هل امتلأت لما سبق من وعده إياها أنه يملؤها^(٣).

وقال القرطبي : (وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره ، والتحقيق لو عده ، والتقريع لاعدائه ، والتنبيه لجميع عباده)^(٤).

(وتقول) جهنم (هل من مزيد) أي ما بقي في موضع للزيادة^(٥).

ويحتمل أن يكون استفهاما بمعنى الاستزادة أي هل من مزيد فأزداد وإنما صلح هذا للوجهين لأن في الاستفهام ضربا من الجحد .

وقيل : ليس ثم قول وإنما هو على طريق المثل أي إنها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة بذلك ، وهذا تفسير مجاهد وغيره أي هل في من مسلك قد امتلأت .

وقيل يئق الله النار حتى تقول هذا كما تنق الجوارح^(٦).

ولا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يبع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعها إلى بعض وتقول قط قط بعزتكم وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة . وهذا ما ورد في الصحاح فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أنس عن النبي قال (يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يبع قدمه فتقول قط قط)^(٧).

(١) ق/٣٠ .

(٢) ينظر تفسير البيهقي ٢٣٠/٥ ، والآية من سورة السجدة ١٣ .

(٣) ينظر الجامع لاحكام القرآن ١٨/١٧ ، والآية من سورة ق ٢٨ .

(٤) ينظر الجامع لاحكام القرآن ١٨/١٧ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ١٨/١٧ .

(٦) ينظر الجامع لاحكام القرآن ١٨/١٧ .

(٧) صحيح البخاري ١٨٣٥/٤ حديث رقم ٤٥٦٧ .

الفصل الخامس

الزيادة في مسائل متفرقة

المبحث الاول : الزيادة في العدد

قال تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾^(١) والـ مير في ارسلناه يعود على يونس عليه الصلاة والسلام ، وقد خص الله امة يونس من باقي اللامم السالفة أنهم آمنوا قبل حلول العذاب فتابوا.

أما عن قوله (أو يزيدون) فهناك أكثر من تفسير ومن ذلك :

- أنها بمعنى بل ، قاله الفراء^(٢) .
- إنها بمعنى الواو ، وهذا كقوله تعالى ﴿.. وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ..﴾ وقرأ جعفر بن محمد إلى مائة ألف ويزيدون بغير همز ف ﴿يزيدون﴾ في موضع رفع بأنه خير مبتدأ محذوف أي (وهم يزيدون) وهو قول النحاس^(٣) .
- ولا يصح هذان القولان عند البصريين وأنكروا كون أو بمعنى بل وبمعنى الواو لأن بل للإضراب عن الأول والإيجاب لما بعده وتعالى الله عز وجل عن ذلك ، أو خروج من شيء إلى شيء وليس هذا موضع ذلك والواو معناه خلاف معنى أو فلو كان أحدهما بمعنى الآخر لبـ لت المعاني ولو جاز ذلك لكان وأرسلناه إلى أكثر من مائتي ألف أخصر^(٤) .
- وقال المبرد : (المعنى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم هم مائة ألف أو أكثر وإنما خوطب العباد على ما يعرفون)^(٥) .
- وقيل : هو كما تقول جاءني زيد أو عمرو وأنت تعرف من جاءك منهما إلا أنك أبهمت على المخاطب^(٦) .
- وقال الأخفش والزجاج أي يزيدون في تقديركم ، وقال مكحول كانوا مائة ألف وعشرة آلاف ، وقال ابن عباس زادوا على مائة ألف عشرين ألفا ورواه أبي بن كعب مرفوعا، وعن ابن عباس أي لـ ثلاثين ألفا ، وعن الحسن والربيع بعـ لـ ثلاثين ألفا ، وقال مقاتل وسعيد بن جبير سبعين ألفا فأمنوا فمتعناهم إلى حين أي إلى منتهى آجالهم^(٧) .

(١) الصافات / ١٤٧ .

(٢) ينظر الجامع لاحكام القران ١٣٢/١٥ .

(٣) ينظر المصدر نفسه ١٣٢/١٥ ، والاية من سورة النحل / ٧٧ .

(٤) ينظر المصدر نفسه ١٣٢/١٥ .

(٥) الجامع لاحكام القران ١٣٢/١٥ .

(٦) ينظر الجامع لاحكام القران ١٣٢/١٥ ، وتفسير القران العظيم ٧٢/٤ .

(٧) ينظر المصادر نفسها ١٣٢/١٥ ، و٧٢/٤ .

وأمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام جميعهم فمتعنهم إلى حين أي إلى وقت آجالهم كقوله جلّت عظمته ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين﴾^(١)

والى زيادة أخرى هي المتمثلة في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢) والحديث عن الملائكة الذين جعلهم الله رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة ، أو بينه وبين خلقه يوصلون إليهم آثار صنعه أولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع ، ذوي اجنحة متعددة ، متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون أو يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه فيتصرفون فيه على أمرهم به ولعله لم يرد به خصوصية الأعداد ونفي ما زال عليها لما روي انه ﷺ رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح^(٣).

وقد تعددت الاراء في المراد من الزيادة المذكورة في قوله سبحانه (يزيد في الخلق ما يشاء) على أقوال منها :-

- في خلق الملائكة في قول أكثر المفسرين ذكره المهدي^(٤).
- في أجنحة الملائكة ما يشاء ، ذكره الحسن^(٥).
- حسن الصوت ، قاله الزهري وابن جريج^(٦).
- الملاحه في العينين والحسن في الأنف والحلاوة في الفم ، قاله قتادة^(٧).
- وقيل الخط الحسن^(٨).
- وقيل الوجه الحسن^(٩).
- هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن ذكره القشيري^(١٠).
- وقيل العقل والتميز^(١١).
- وقيل العلوم والصنائع إن الله على كل شيء قدير من النقصان والزيادة^(١٢).

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم ٢٣/٤

(٢) فاطر / ١ .

(٣) ينظر تفسير البيه باوي ٤٠٩/٤ ، والحديث رواه النسائي ٤٧٢/٦ .

(٤) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٣٠/١٤ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ٢٣٠/١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٤٧/٣ .

(٦) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٣٠/١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٥٤٧/٣ .

(٧) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٣٠/١٤ .

(٨) ينظر المصدر نفسه ٢٣٠/١٤ .

(٩) ينظر المصدر نفسه ٢٣٠/١٤ .

(١٠) ينظر المصدر نفسه ٢٣٠/١٤ .

(١١) ينظر المصدر نفسه ٢٣٠/١٤ .

(١٢) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٣٠/١٤ .

وجملة القول ان الآية م لقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة توام في الأعاء وقوة في البش وحصافة في العقل وجزالة في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان لباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الأمور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به وصف^(١).

المبحث الثاني : الزيادة في الارحام

من صور عظمة الله تعالى إحاطته بكل صغيرة وكبيرة في هذا الكون ، فما بين الحركة الخفية في جنح الليل ، وما بين السر المكنون في الصدور ، وما بين كل مستخف بالليل وسارب بالنهار ، وما بين معرفة المكنون في الارحام نلمس عظمة البارى عز وجل ، فكل أنثى في الوبر والمدر ، في البدو والحد ر ، في البيوت والكهوف ، في المسارب والغابات ي ل علم الله تعالى على كل حمل في ارحام هذه الاناث ، وعلى كل قرة من دم تغيض أو تزداد في تلك الارحام(٢) ، قال تعالى ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٣) يبين الله سبحانه وتعالى أنه يعلم ما تحمل كل أنثى أي حملها أو ما تحمله على أي حال هو من الأحوال الحاضرة والمترقبة (وما تغيض الأرحام وما تزداد) وما تنقصه وما تزداده في الجنة والمدة والعدد(٤) .

، وروي أن الـ حاك ولد لسنتين وهرم ابن حيان لأربع سنين (٥) .

وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده . وقال مجاهد إذا حاضت المرأة في حملها كان ذلك نقصانا في ولدها فإن زادت على التسعة كان تماما لما نقص وعنه الغيض ما تنقصه الأرحام من الدم والزيادة ما تزداد منه^(٦) .

وقال قتادة المعنى ماتسقط قبل التسعة الأشهر (وما تزداد) فوق التسعة وكذلك قال ابن عباس^(٧) .

وقيل : الغيض والزيادة يرجعان إلى الولد كنقصان إصبع أو غيرها وزيادة إصبع أو غيرها^(٨) .

وعن ابن عباس وما تغيض الأرحام يعني السقط^(٩) .

وقيل الغيض انقاع دم الحيض (وما تزداد) بدم النفاس بعد الوضع^(١٠) .

(١) ينظر المصدر نفسه ٢٣٠/١٤ .

(٢) ينظر في ظلال القرآن ٢٠٤٨/٤ .

(٣) الرعد ٨/ .

(٤) ينظر تفسير الببي اوي ٣١٩/٣ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ٣١٩/٣ .

(٦) ينظر تفسير الببي اوي ٣١٩/٣ ، والجامع لاحكام القرآن ٢٨٦/٩ .

(٧) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٨٦/٩ .

(٨) ينظر المصدر نفسه ٢٨٦/٩ .

(٩) ينظر تفسير القرآن العظيم ٥٤٧/٣ .

(١٠) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٨٦/٩ .

وفي الآية معاني وفوائد متعددة نذكر منها :-

اولا: في هذه الآية دليل على أن الحامل تحيض وهو مذهب مالك والشافعي في أحد قوليه وقال عطاء والشعبي وغيرهما : لا تحيض وبه قال أبو حنيفة ودليله الآية^(١).

قال ابن عباس في تأويلها إنه حيض الحبالى وكذلك روي عن عكرمة ومجاهد وهو قول عائشة وأنها كانت تفتي النساء الحوامل إذا حدثن أن يتركن الصلاة والصحابة إذ ذاك متوافرون ولم ينكر منهم أحد عليها فصار كالإجماع قاله ابن القصار وذكر أن رجلين تنازعا ولدا فترافعا إلى عمر رضى عنه فعرضه على القافة فألحقه القافة بهما فعلاه عمر بالدرة وسأل نسوة من قريش فقال انظرن ما شأن هذا الولد فقلن : إن الأول خلا بها وخلها فحاضت على الحمل فظننت أن عدتها انقضت فدخل بها الثاني فانتعش الولد بماء الثاني فقال عمر: الله أكبر ، وألحقه بالأول ولم يقل إن الحامل لا تحيض ولا قال ذلك أحد من الصحابة فدل أنه إجماع والله أعلم^(٢).

واحتج المخالف بأن قال لو كان الحامل تحيض وكان ما تراه المرأة من الدم حيا لما صح استبراء الأمة بحيض وهو إجماع ، وروي عن مالك في كتاب محمد ما يقتضي أنه ليس بحيض^(٣).

ثانيا: وفي هذه الآية دليل على أن الحامل قد تضع حملها لأقل من تسعة أشهر وأكثر ، وأجمع العلماء على أن أقل الحمل ستة أشهر ، قال الجصاص (واتفق أهل العلم عليه)^(٤) ، وأن عبد الملك بن مروان ولد لستة أشهر^(٥).

ثالثا : ومن هذه الفوائد أن الستة أشهر هي بالأهله كسائر أشهر الشريعة ولذلك قد روي في المذهب عن بعض أصحاب مالك أنه إن نقص عن الأشهر الستة ثلاثة أيام فإن الولد يلحق لعله نقص الأشهر وزيادتها حكاها ابن عيينة^(٦).

أما عن أكثر مدة الحمل فقد ذهب جمهور الفقهاء الى انها اربع سنوات ، وعند المالكية في قول انها خمس سنوات ، وعند الحنفية ورواية للحنابلة انها سنتان^(٧).

وقد روي أيضا أن رجلا جاء إلى عمر بن الخطاب فقال : يا أمير المؤمنين إني غبت عن امرأتي سنتين فجئت وهي حبلى فشاور عمر الناس في رجمها فقال معاذ بن جبل يا أمير المؤمنين إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل فاتركها حتى تضع فتركها فوضعت غلاما قد خرجت ثنيتاه فعرف الرجل الشبه فقال : إني ورب الكعبة فقال عمر عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ لولا معاذ لهلك عمر^(٨).

(١) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٨٦/٩ .

(٢) ينظر المصدر نفسه ٢٨٦/٩ .

(٣) ينظر المصدر نفسه ٢٨٦/٩ .

(٤) ينظر أحكام القرآن للجصاص ٥١٦/٣ ، واحكام القرآن لابن العربي ٢٧٤/١ ، والمنتقى ١٤٢/٧ ، وبدائع الصنائع

٢١٢/٣ ، والجامع لاحكام القرآن ٢٨٦/٩ .

(٥) ينظر المصدر نفسه ٢٨٦/٩ .

(٦) ينظر المصدر نفسه ٢٨٧/٩ .

(٧) ينظر بدائع الصنائع ٢١٢/٣ ، وتبيين الحقائق ٤٥/٧ ، وحاشية الدسوقي ٤٧٥/٢ ، واسنى المصنوع ٣٩٤/٣ ،

والمغني ٩٩/٨ ، والانصاف ٢٧٥/٩ ، والبحر الزخار ١٤٤/٤ ، والجامع لاحكام القرآن ٢٨٧/٩ .

(٨) ينظر والجامع لاحكام القرآن ٢٨٨/٩ .

المبحث الثالث : الزيادة في العلم

قال تعالى ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾^(١) ففي هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء وفيهم فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن اسم العلماء^(٢)، ولو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسأله المزيد منه كما أمر أن يستزيده من العلم^(٣).

وتوجيه الآية: أي زدني منك علما ، وقل يا محمد رب زدني علما إلى ما علمتني ، فأمره بمسألته من فوائد العلم ما لا يعلم ، قال ابن عيينة رحمه الله : (ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله عز وجل)^(٤)

وإذا انتقلنا الى نص آخر وهو ما ورد في سورة البقرة من اختيار طالوت لقيادة بني اسرائيل لوجدنا اثر العلم في التفاضل ، قال تعالى ﴿إِنَّا جَاءَ إِسْرَائِيلَ إِذْ قَالُوا ارْزُقْنَا يَا رَبَّنَا فَقَالَ إِنِّي نَارُ الْفِطْرِ فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَدْعُونَ وَإِنِّي لَمُؤْتِي عِلْمٍ لَمَّا فَطَرْتُمُوهَا فَتَخْتَفُونَ مَا عَلَيْكُمْ صِغِيرَ النَّارِ كَالَّذِينَ إِذَا لَقُوا الْعِلْمَ وَقَالُوا لَوْلَا جَاءَنَا بِهَذَا الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٥) وبسبب العلم في السعة ، من قولكيس إذا كان مجموعا ففتحتة ووسعته . وقيل البسط في الشيء إمداده في جميع جهاته^(٦).

لقد طلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكا منهم فعين لهم طالوت وكان رجلا من أجنادهم ولم يكن من بيت الملك فيهم لأن الملك كان في سبط يهوذا ولم يكن هذا من ذلك السبط فلماذا قالوا أنى يكون له الملك علينا أي كيف يكون ملكا علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال أي هو مع هذا فقير لا مال له يقوم بالملك ، وقد ذكر بعضهم أنه كان سقاء وقيل دباغا^(٧).

ان في هذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنت وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف ثم قد أجابهم للبي قائلًا إن الله اصداه عليكم أي أختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم ، يقول لست أنا الذي عينته من تلقاء نفسي بل الله أمرني به لما طلبتم مني ذلك وزاده بسبب العلم في العلم والجسم أي وهو مع هذا أعلم منكم وأنبل وأشكل منكم وأشد قوة وصبرا في الحرب ومعرفة بها أي أتم علما وقامة منكم ومن ههنا ينبغي أن يكون الملك ذا علم وشكل حسن وقوة شديدة في بدنه ونفسه ثم قال (والله يؤتي ملكه من يشاء) أي هو الحاكم الذي ما شاء فعل ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه ولهذا قال (والله واسع عليم) أي هو واسع الفهم يختص برحمته من يشاء عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه^(٨).

(١) طه / ١١٤ .

(٢) ينظر الجامع لاحكام القران ٤١/٤ .

(٣) ينظر المصدر نفسه ٤١/٤ .

(٤) تفسير الـ بري ٢٢٠/١٦ ، وينظر تفسير القران العظيم ١٦٨/٣ .

(٥) البقرة / ٢٤٧ .

(٦) التبيان في تفسير غريب القرآن ١ / ١٣٤ .

(٧) ينظر تفسير القران العظيم ٣٠٢/١ .

(٨) ينظر المصدر نفسه ٣٠٢/١ .

ولو تأملنا النص لوجدنا انه بدأ بالعلم ثم ذكر كل ما يدل على القوة وسلامة الأءاء^(١). وهذا يدل على تفيل العلم على الجسم والقوة .

المبحث الرابع : الزيادة في الزمن

قال تعالى ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..﴿^(٢) يبين الله تعالى مدة لبث اصحاب الكهف ، ويذكر فصل الخاب في امرهم مع ذكر زيادة لها مغزى ومعنى ، والسؤال هنا ما المراد بهذه الزيادة للتسع؟ والجواب أنهم لبثوا ثلثمائة سنة شمسية بحساب الأيام فلما كان الإخبار هنا للنبي العربي ذكرت التسع إذ المفهوم عنده من السنين القمرية وهذه الزيادة هي ما بين الحسابين . أي باختلاف سني الشمس والقمر لأنه يتفاوت في كل ثلاث وثلاثين وثلاث سنة سنة فيكون في ثلثمائة تسع سنين^(٣) .

وقال أبو علي: (وازدادوا تسعا) أي ازدادوا لبث تسع فحذف^(٤) .

وقال الـ حاك : (لما نزلت (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة) قالوا سنين أم شهور أم جمع أم أيام فأنزل الله عز وجل سنين)^(٥) .

وخم الله سبحانه هذه التساؤلات بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) وللمفسرين أكثر من رأي في معنى اللبث ومن ذلك^(٦) :

- بعد موتهم إلى نزول القرآن فيهم ، قاله مجاهد .
- إلى أن ماتوا ، قاله الـ حاك .
- إلى وقت تغييرهم بالبلى .
- وقيل : بما لبثوا في الكهف وهي المدة التي ذكرها الله تعالى عن اليهود وإن ذكروا زيادة ونقصانا أي لا يعلم علم ذلك إلا الله أو من علمه ذلك له غيب السموات والأرض .

والى زيادة أخرى في الزمن وهي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ* فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا* نِصْفَهُ أَوْ انْقِصُ مِنْهُ قَلِيلًا* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(٧) فقوله (إلا قليلا) استثناء من الليل أي صل الليل كله إلا يسيرا منه لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد والقليل من الشيء مادون النصف ، فحكى عن وهب بن منبه أنه قال : القليل مادون المعشار والسدس ، وقال الكلبي ومقاتل : الثلث ، ثم قال تعالى (نصفه أو

(١) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٢٧١/١ .

(٢) الكهف /٢٥-٢٦ .

(٣) ينظر الجامع لاحكام القرآن ٣٨٧/١٠ .

(٤) المصدر نفسه ٣٨٧/١٠ .

(٥) المصدر نفسه ٣٨٧/١٠ .

(٦) ينظر المصدر نفسه ٣٨٧/١٠ .

(٧) المزمل /١-٤ .

انقص منه قليلا) فكان ذلك تخفيفا إذ لم يكن زمان القيام محدودا فقام الناس حتى ورمتم أقدامهم ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ﴿ علم أن لن تحصوه ﴾^(١).

وقال الأخفش نصفه أي أو نصفه ، يقال أبعه درهمان درهمين ثلاثة يريد أو درهمين أو ثلاثة ، وقال الزجاج : نصفه بدل من الليل و إلا قليلا استثناء من النصف ، والـ مير في منه وعليه للنصف المعنى قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا إلى الثلث أو زد عليه قليلا إلى الثلثين فكأنه قال قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه ، وقيل إن نصفه بدل من قوله قليلا وكان مخيرا بين ثلاث : بين قيام النصف بتمامه ، وبين الناقص منه ، وبين قيام الزائد عليه كأن تقدير الكلام قم الليل إلا نصفه أو أقل من نصفه أو أكثر من نصفه^(٢).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يمشي ثلاث الليال الأولى فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعـيه من ذا الذي يستغفـرنـي فأعـفر له فلا يزال كذلك حتى يـيء الفجر)^(٣).

المبحث الخامس : الزيادة في القوة والخلق

قال تعالى ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾^(٤) فهاهو هود عليه السلام يرغب القوم للدخول في دين الله ، ومن هذا الترغيب الوعد بالامـار وزيادة القوة ومـاعفتها ، فما السر في ذلك الترغيب ؟ والجوابانه إنما رغبتهم بكثرة المـار وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع ، وقد حبس الله عنهم القـار وأقم ارحام نساءهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الإيمان والتوبة بكثرة الامـار وتـاعف القوة بالتناسل^(٥).

فعن مجاهد قال في معنى (ويزدكم قوة إلى قوتكم) : اي ولد الولد^(٦). وعن مجاهد اي : اي شدة إلى شدتكم^(٧).

واللفظ يدل على عموم القوة في جميع ما يحسن الله تعالى فيه إلى العباد ويحتمل أن خص القوة بالذكر إذ كانوا أقوى العوالم فوعدوا بالزيادة فيما بهروا فيه^(٨).

وقال تعالى ﴿.. وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلُقًا مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادْنَا فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٩) فهود عليه السلام يذكر قومه بنعم الله عليهم ويقول : اذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، فقد من عليهم بأن جعلهم سكان الأرض بعد قوم نوح وزادهم في الخلق بسـطة ويجوز بسـة بالصاد لأن بعدها طاء أي طولا في الخلق وعظم

(١) ينظر الجامع لاحكام القران ٣٥/١٩ ، والاية من سورة المزمل ٢٠/.

(٢) ينظر تفسير البيـاوي ٤٠٥/٥ ، والجامع لاحكام القران ٣٥/١٩ .

(٣) صحيح مسلم ٢٧٠/١ .

(٤) هود ٥٢/.

(٥) ينظر تفسير الـ بري ٥٨/١٢ ، وتفسير البيـاوي ٢٣٩/٣ .

(٦) ينظر الدر المنثور ٤٤٣/٤ .

(٧) ينظر تفسير الـ بري ٥٨/١٢ .

(٨) ينظر تفسير الثعالبي ٢٠٩/٢ .

(٩) الاعراف ٦٩/.

الجسم ، قال ابن عباس كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا ، وهذه الزيادة كانت على خلق آبائهم وقيل على خلق قوم نوح^(١) .

المبحث السادس : الزيادة في الكيل

قال تعالى ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَنَاجِبَهُمْ وَجَدُوا بِـ اَعْتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِـ اَعْتَنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾^(٢) فآخوة يوسف عليه السلام لما وجدوا بـ اعتههم في متاعهم قالوا يا أبانا ما نبغي أي ماذا نريد هذه بـ اعتنا ردت إلينا كما قال قتادة: (ما نبغي وراء هذه إن بـ اعتنا ردت إلينا وقد أوفي لنا الكيل) ^(٣) ، ونمير أهلنا أي إذا أرسلت أخانا معنا نأتي بالميرة إلى أهلنا ونحفظ أخانا ، ونزاد كيل بعير وذلك أن يوسف عليه اسلام كان يعـ بي كل رجل حمل بعير ، وقال مجاهد حمل حمار وقد يسمى في بعض اللغات بعيرا كذا قال . ذلك كيل يسير هذا من تمام الكلام وتحسينه أي إن هذا يسير في مقابلة أخذ أخيهم ما يعدل هذا ، هذا ومن الجدير بالذكر أن يعقوب عليه السلام إنما فعل ذلك لأنه لم يجد بدا من بعثهم لأجل الميرة التي لاغنى لهم عنها فبعثه معهم^(٤) .

وقال البيـ اوي : (ونزاد كيل بعير وسق بعير باستصحاب أخينا هذا إذا كانت ما استفهامية فأما إذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن تكون الجمل معـ وفة على ما نبغي أي لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا)^(٥)

وقوله تعالى (ذلك كيل يسير) : أي مكيل قليل لا يكفينا، استقلوا ما كيل لهم فأرادوا أن يـ اعفوه بالرجوع إلى الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم قال البيـ اوي : (ويجوز أن تكون الإشارة إلى كيل بعير أي ذلك شيء قليل لا يـ ايقنا فيه الملك ولا يتعاضمه)^(٦)

وقيل إنه من كلام يعقوب ومعناه إن حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد^(٧)

(١) ينظر الجامع لاحكام القران ٢٣٦/٧ ، والتبيان في تفسير غريب القران ٢٠٥/١ .

(٢) يوسف /٦٥ .

(٣) تفسير القران العظيم ٤٨٥/٢ .

(٤) ينظر المصدر نفسه ٤٨٥/٢ .

(٥) تفسير البيـ اوي ٢٩٨/٣ .

(٦) تفسير البيـ اوي ٢٩٨/٣ .

(٧) ينظر المصدر نفسه ٢٩٨/٣ .

المبحث السابع : زيادة المحسنين من الخير

قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ نَعْفَرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) فهذه الزيادة خصها الله تعالى للمحسنين ، اي وسنزيد المحسنين ثوابا ، جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه عن صورة الجواب إلى الوعد أيهاما بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعل فكيف إذا فعله وأنه تعالى يفعل لا محالة^(٢).

وعن ابن عباس في هذا الاحسان : (من كان منكم محسنا زيد في إحسانه ومن كان مذمنا نغفر له ذنوبه)^(٣).

وقال القرطبي: (وسنزيد المحسنين) أي في إحسان من لم يعبد العجل ويقال يغفر ذنوبه من رفع المن والسلوى للغد ، وسنزيد في إحسان من لم يرفع للغد^(٤).

وفي حديث جبريل عليه السلام: (ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال صدقت)^(٥).

وفي البخاري عن النبي ﷺ (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حَسْبُنَا اللَّهُ نَعْفَرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وسنزيد المحسنين رغدا واسعا كثيرا)^(٦).

ومثل ذلك ما ورد في سورة الاعراف من قوله تعالى ﴿.. وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ نَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٧).

واما قوله تعالى ﴿.. وَمَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٨) أي ومن يعمل حسنة نزيد له فيها حسنا أي أجرا وثوابا كقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما﴾ وقال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ومن جزاء السيئة السيئة بعدها وقوله تعالى (إن الله غفور شكور) أي يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر^(٩).

(١) البقرة / ٥٨ .

(٢) ينظر تفسير البيهقي ٢٣٨/١ .

(٣) تفسير البرقي ٣٠٢/١ .

(٤) تفسير القرطبي ٤١٥/١ .

(٥) صحيح مسلم ٣٧/١ .

(٦) صحيح البخاري ١٦٢٧/٤ .

(٧) الاعراف / ١٦١ .

(٨) الشورى / ٢٣ .

(٩) ينظر تفسير القرآن العظيم ١١٥/٤ .

المبحث الثامن إله مع في الزيادة من قبل الجاحد

قال تعالى ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا* وَبَنِينَ شُهُودًا* وَمَهْدُتٌ لَهُ تَمْهِيدًا* ثُمَّ يَدْعُ أَنْ أُرِيدَ* كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا* سَأَرْهُهُ صَعُودًا* إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ* فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ* ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ* ثُمَّ نَظَرَ* ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ* ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ* فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ* إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾^(١) الآيات في الوليد بن المغيرة ، فإن الله تعالى لما أنزل على النبي ﷺ ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ إلى قوله ﴿..المصير﴾ قام النبي ﷺ في المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فرغ من النبي ﷺ لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فاندلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد أنفا كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وأنه يعلو وما يعلو^(٢)، ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبون قريش كلهم ، وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم أبو جهل أنا أكفيكموه فاندلق فقعد إلى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالي أراك حزينا يا ابن أخي قال وما يمنعني أن لا أحزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينوك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وأنتك تدخل على ابن أبي كبشة وابن أبي قحافة لتتال من فضل طعامه فغضب الوليد فقال ألم تعلم قريش أنني من أكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد وأصحابه من المال علم فيكون لهم فضل ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق ، وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن ، وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب ، فقالوا في كل ذلك: اللهم لا ، ثم قالوا : فما هو ففكر فقال : ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر يؤثر عن مسليمة وأهل بابل فارتج النادي فرحا وتفرقوا متعجبين منه^(٣) .

وقد كان الوليد بن المغيرة مشهورا بكثرة المال على اختلاف أنواعه ، قيل كان يحصل له من غلة أمواله ألف ألف دينار ، وقيل أربعة آلاف دينار وقيل ألف دينار (وبنين شهودا) أي جعلت له بنين حورا بمكة معه لا يسافرون ولا يحتاجون إلى التفريق في طلب الرزق لكثرة مال أبيهم ، قال ابن حاك : (كانوا سبعة ولدوا بمكة وخمسة ولدوا بالأنائف)^(٤) ، وقال سعيد بن جبير : (كانوا ثلاثة عشر ولدا)^(٥) ، وقال مقاتل : (كانوا سبعة كلهم رجال أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام والوليد بن الوليد فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك)^(٦) .

ومعنى (شهودا) قيل : أنه إذا ذكر ذكروا معه.

وقيل كانوا يشهدون معه ما كان يشهده ويقومون بما كان يباشره.

(١) المدثر / ٢٥-١١ .

(٢) ينظر تفسير البيهقي ٤/٤١٥ .

(٣) ينظر تفسير النسفي ٤/٢٩٥ .

(٤) فتح القدير ٥/٣٢٦ .

(٥) المصدر نفسه ٥/٣٢٦ .

(٦) المصدر نفسه ٥/٣٢٦ .

(ومهدت له تمهيدا) أي يسد له في العيش وطول العمر والرياسة في قريش ، وقال مجاهد : (إنه المال بعينه فوق بعض كما يمهد الفراش)^(١) .

(ثم يـ مع أن أزيد) أي يـ مع بعد هذا كله في الزيادة لكثرة حرصه وشدة طعمه مع كفرانه للنعم وإشراكه بالله ، قال الحسن : (لم يـ مع أن أدخله الجنة وكان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي ثم ردعه الله سبحانه وزجره فقال كلا أي لست أزيده ثم علل ذلك بقوله) (إنه كان لأياتنا عنيدا) أي معاندا لها وكافرا بما أنزلناه منها على رسولنا)^(٢) .

(ثم يـ مع أن أزيد) على ما أوتيه وهو استبعاد لـ معه أما لأنه لا مزيد على ما أوتي أو لأنه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال (كلا إنه كان لأياتنا عنيدا فإنه ردع له عن الـ مع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لإزالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله حتى هلك)^(٣) .

الخاتمة

بعد استعراض آيات الزيادة في القرآن الكريم تبين لنا ما يأتي :-

١. ان القرآن الكريم فصل أنواع الزيادة وبين اثرها في حياة الانسان ، سواء كانت زيادة الاحسان ام زيادة الخسران ، وتناول كل انواع الزيادة مجملة احيانا ومفصلة احيانا اخرى .
 ٢. تناول القرآن زيادة الفـ لـ والنعمة ، وبين اسبابها ، وحث الناس على هذه الخصال الحميدة ، كما بين زيادة الايمان والهدى والخشوع ، وذكر في آيات كثيرة طبيعة هذه الزيادة واسبابها اي لـ .
 ٣. كما تناول مقابل ذلك زيادة الكفر والخسران والمهانة في الدنيا ، ففصل ذلك ، فالانسان اذا جحد نعمة الله تعالى وانكرها فان الله يوجه له العقوبة في الدنيا والآخرة ، وقد يمهلها حيناً من الزمن الى ان يستغرق في الذنب فيأخذها أخذ عزيز مقتدر .
 ٤. اما في اليوم الآخر فهناك زيادة لها طعم خاص فزيادة النعيم لاهل النعيم من الخيرات الحسان في روضات الجنان ، واكبر زيادة واعظمتها هي النظر الى وجه ملك الملوك سبحانه وتعالى ، التي لا تقابلها نعمة ابداً .
 ٥. هناك زيادات اخرى متنوعة ذكرها القرآن كالزيادة في العدد والارحام والزيادة من العلم والقوة والاحسان وانواع اخرى ذكرها مفصلاً لأهميتها .
 ٦. على المسلم التأمل في كتاب الله تعالى لأستخراج النفايس والدرر التي لا تنقـي على مرور الازمان والدهور .
- وختاماً نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما قدمنا ولن يحشرنا مع حبيبه عليه الصلاة

والسلام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) ينظر فتح القدير ٣٢٦/٥ .

(٢) ينظر فتح القدير ٣٢٦/٥ .

(٣) ينظر تفسير البيـ اوي ٤١٣/٥ ، وتفسير البغوي ٤١٥/٤ .

المصادر * بعد القرآن الكريم

١. أحكام القرآن ، ابن العربي ، (د. ت).
٢. أحكام القرآن ، الجصاص ، (د. ت).
٣. بدائع الصنائع ، ابو بكر بن مسعود الكاساني ، (د. ت).
٤. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (د. ت).
٥. تفسير البغوي ، المسمى (معالم التنزيل) ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، ط٤ دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٦. تفسير ابي السعود ، المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القران الكريم ، لابي السعود العمادي ، مبعة محمد علي ، ميدان الازهرية .
٧. تفسير البيه ساوي ، المسمى انوار التنزيل واسرار التأويل ، للبيه ساوي ، ط١١٤٠ هـ ، ١٩٨٨ م ، دار الكتب العربية .
٨. تفسير الثعالبي ، المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) ، أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، (د. ت).
٩. تفسير الدر المنثور في التأويل بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين السيوطي ، (د. ت).
١٠. تفسير البري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير البري ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١١. تفسير القران العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
١٢. تفسير النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، مبعة محمد علي صبيح ، مصر .
١٣. تمييز البري من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث ، للامام عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن البيع ، مبعة محمد علي صبيح واولاده ، ١٣٨٢ هـ ، ١٩٦٢ م.
١٤. الجامع لاحكام القران ، القرطبي ، ط١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
١٥. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، (د. ت)
١٦. روح المعاني في تفسير القران العظيم والسيح المثاني ، الألوسي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م.
١٧. زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، ط١ ، المكتب الاسلامي للباعة والنشر ، ١٩٦٧ م.
١٨. شرح النسفية ، للتفتازاني ، مبعة حجرية .
١٩. شرح النسفية في العقيدة الاسلامية ، الدكتور عبد الملك السعدي ، ط٢ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م ، دار الانبار ، العراق .
٢٠. الصحاح في اللغة ، الجوهري ، (د. ت)
٢١. صحيح البخاري ، البخاري ، ط١ ، ١٣٧٥ هـ ، ١٩٨٧ م ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .
٢٢. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج النيسابوري ، ط١ ، ١٣٧٥ هـ ، ١٩٥٦ م ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
٢٣. في ظلال القران ، سيد ق ب ، دار الشروق ط١٠ ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢ م ، بيروت - القاهرة
٢٤. لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت .
٢٥. مختار الصحاح ، محمد بن ابي بكر الرازي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .